نوابغ الفكر العربي

١٩

جرير

بقلم محمد إبراهيم جمعة



دار المعارف بمصر

جریدہ

نوابغ الفكر العربي

١٩

جرير

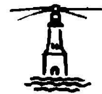
٢٩ – ١١٠ هـ

بقلم محمد إبراهيم جمعة

« إنى لمدينة الشعر منها
يخرج وإليها يعود . . . »
جرير

الطبعة الثالثة





دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

الفصل الأول

عصر جرير

١ ـ الحياة السياسية

(ا) عصر بنى أمية (٤١ ـ ١٣٢ هـ ، ٦٦١ ـ ٧٤٩م) :

عصر عربى الصبغة ، قام على القهر والدهاء ، وإيقاظ العصبية ، وإجزال العطاء ، مما كان له كبير الأثر فى انطباع شعرائه بطابعه ، واستقامة ألسنتهم ، واستفاضة دواوينهم بالفخر والأهاجى والأماديح والمناقضات .

اتسعت الدولة فيه ، وتطورت من خلافة رشيدة تقوم على الدين والشورى إلى مُلْك وراثى يزهو بأبهة أباطرة البيزنطيين ، وانتقلت الحاضرة من المدينة والكوفة مقر الهاشميين إلى دمشق معقل الأمويين ، وكثرت أعباء الملك الجديد الواسع ، وتعقدت مشاكله السياسية ، ووقعت أحداث دامية ، من مقتل الخليفة عثمان ، وانقسام الناس فى خلافة على ، وظهور الخوارج ، وتعدد الأحزاب والمذاهب ، وتنوع العصبيات الأسرية والقبلية ، والعنصرية ، وتفاقم الفتن إلى أن كانت سبباً فى سقوط الدولة الأموية ، كما كانت سبباً فى قيامها .

ومدة هذا العصر اثنتان وتسعون سنة ، من العام الواحد والأربعين المعروف بعام الجماعة ، إلى قيام الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين بعد المائة من الهجرة ومن سنة ٦٦١ إلى ٧٤٩ من الميلاد .

(ب) عام الجماعة :

انصرفت الجيوش من « صفين »[١] . أما معاوية ، فقد دلف بأنصاره إلى

---

(١) وقعة صفين : معركة بين جيوش على وجيوش معاوية ، وكاد على ينتصر فيها ، لولا ما كان من دهاء عمرو بن العاص الذى أدى بها إلى التحكيم . وصفين : موضع قرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى .

الشام فى وئام تام ، وأمّا على وأشياعه ، فقد اجتازوا الوهاد إلى العراق فى خصام وانقسام ، يتشاتمون ويتضاربون بالسِّياط ، حتّى دخل فريق منهم مع على الكوفة وهم الشيعة ، وبقى الآخرون خارجها فى قرية « حروراء »[١] وهم الخوارج أو الحرورية ، الذين لم يروا معنى لقبول على بن أبى طالب التحكيم بعد أن بويع بالإمامة بيعةً صحيحة .

واتسعت الفرقة بين المسلمين ، وقتل على ، واستخلف العرب ابنه الحسن ، ولم يطل أمد خلافته حتّى رأى تفرق الناس عنه ، فلم يجد بدًّا من النزول عنها حقناً لدماء المسلمين ، وأرسل إلى معاوية يطلب الصلح ، فقدم عليه بالمدائن عبد الله بن عامر ، وعبد الرحمن بن سمرة ، من قبل معاوية وصالحاه على ما أراد.

ثم قام الحسن فى أهل العراق فقال: « يا أهل العراق إنه سخّى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى ، وطعنكم إياىّ ، وانتهابكم متاعى »[٢]. ثم دخل معاوية الكوفة وبايعه الحسن ، فبايعه الناس ، وكان عمرو بن العاص حاضراً ، فأوعز إلى معاوية أن يأمر الحسن بالخطابة ، ليظهر عيّه . فقام فحمد الله ، ثم قال : « أيها الناس إن الله هداكم بأوّلنا ، وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدّة ، والدنيا دُوَل ، وإن الله عز وجل – قال لنبيه : " وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين " »[٣] . فحقدها معاوية على عمرو وقال . هذا من رأيك .

وقيل للحسن : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : كرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحدٌ أبداً إلا غلب ، ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأىٍ ولا هوى ، لا نية لهم فى خير ولا شر ، لقد لقى أبى منهم أموراً عظاماً ، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى .

---

(١) حروراء أو حرورا : موضع غير بعيد من الكوفة اجتمع فيه أول الخوارج عندما جهروا بالخروج على علىّ وسرعان ماقضى عليهم إلى آخر رجل تقريباً فى وقعة النهروان الدامية وقد نسب أول الخوارج إلى حروراء فعرفوا بالحرورية .

(٢) « الطبرى » ج ٦ ص ٩٢. ط الحسينية .

(٣) « الطبرى » ج ٦ ص ٩٣ . ط الحسينية .

وبنزول الحسن عن الخلافة سنة إحدى وأربعين هجرية — سنة ٦٦١ م خلصت لمعاوية ، واجتمع أمر المسلمين ، وكان هذا هو عام الجماعة الأول .

(ج) الأحداث قبل عام الجماعة :

تمّ للدولة الإسلامية فى عهد النبى « محمد » صلى الله عليه وسلم جميع أركان الدولة من وطن وسكان ونظام يجرى مجرى القانون ، وغاية موحدة ترمى إلى نشر الدعوة الإسلامية وحماية النظام الجديد .

وكان عليه السلام على رأس الدولة ، يتلقى الوحى ويبلغه ، ويقود الجيوش ، ويعقد المعاهدات ، ويقضى بين الناس بما أنزل الله ، ويوزع الأموال بالقسطاس المستقيم ، ويرعى الحقوق ، ويشرف على أمور الجماعة دقيقها وجليلها ، فى شكل حكومة دينية ، تقوم على أساس دينى قويم .

وبعد أن لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى قرّ رأى الأكثرية فى سقيفة بنى ساعدة على إسناد هذا المنصب الخطير إلى أبى بكر الصديق على أن يلقب بخليفة رسول الله ، فوطد أركان الدولة ، ولما مرض مرض الوفاة رشح للأمر بعده عمر بن الخطاب ، فأقرت الجماعة ترشيحه وبايعت عمر ، فتولى الخلافة ، ولم ينازعه فيها منازع ، فأرسى قواعدها على أنظمة ثابته ، وأسس محكمة من العدل والحزم ، ووسع رقعة الدولة العربية بالقضاء على الدولتين المتاخمتين : الفرس والروم ، وأقرّ قادة العرب على إقامة مدينتين بالعراق ، إحداهما البصرة على شط العرب جنوباً ، والأخرى الكوفة بالقرب من الحيرة غربى الفرات ، وسرعان ما نمت المدينتان نمواً عظيماً بالعرب النازحين إليهما من كل فج[1] عميق ، وأضحى لهما الأثر البالغ فى تاريخ الأمة العربية ، وأحوالها الاجتماعية ونشأة أحزابها السياسية ، وفرقها الدينية ، وحركاتها الأدبية والعلمية .

---

(١) الفج : يجمع على فجاج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين . وجاء فى سورة الحج : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

وقبل أن يستشهد متأثراً بطعنة أبي لؤلؤة رشّح للخلافة ستة من الصحابة سمّوا أهل الشورى ، ليختاروا من بينهم واحداً للخلافة ، وقال لهم : « رأيت ألاّ أتحمّل أمركم حيًّا وميتاً ، عليكم بهؤلاء الرهط الذين مات رسول الله وهو عنهم راض ، وقال فيهم إنهم أهل الجنة . على وعثمان ابنا عبد مناف ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص خالا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والزبير بن العوام حواريه وابن عمته ، وطلحة الخير بن عبيد الله ، فليختاروا منهم رجلاً ، فإذا ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه ، وإن ائتمن أحداً منكم فليؤد أمانته »[١] .

وجمع المقداد بن الأسود أهل الشورى فى بيت المسور بن مخرمة ، وطرح عليهم الأمر ، وبعد مناظرات طويلة ، وكلام كثير ، اختير عثمان ، وما كاد يتولى الخلافة حتى بدأت بذور الفتنة تجد طريقها بين المسلمين ، فانقسموا إلى أمويين وهاشميين أو علويين ، فقد كان أنصار على يرون أنه أحق بالخلافة ، لأنه المقدم فى بنى هاشم ، ولسبقه فى الدين ، وإخلاصه وتضحيته فى سبيل الله ، ولأنه زوج فاطمة بنت الرسول ، أما العباس عم النبي فإنه لم يتطلع إلى الخلافة ، واكتفى بمساعدة على .

ووجدت الفتنة وَقودها فى لين عثمان وتساهله ، وعزل ولاة عمر من الأمصار ، وتولية ذوى قرباه ، واقتناء جماعة من أصحابه الضياع والدُّور ، وإغراقهم فى اللهو والترف ، واتخاذه مروان بن الحكم وزيراً له ومشيراً ، وهو ابن عمه الحكم بن أبي العاص الذى أخرجه الرسول من المدينة حين آذاه ، ولم يعد إليها إلا فى عهد عثمان.

واسْتَشْرَتْ[٢] عوامل السخط ، حتى اقتحم فريق من الناقمين عليه داره وقتلوه ، فكان قتله لهيب فتنة كبرى ، ومثار حروب وإحن[٣] ، تصدّعت بسببها وحدة الأمة الإسلامية .

---

(١) « الطبرى » : ج ٥ . ص ٣٤ . ط الحسينية .
(٢) استشرت : تفاقمت وعظمت .
(٣) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

واختار الثوّار عليّاً وبايعه معظم الناس، فحاول رأب الصّدْع ، وجمع الشمل ولكن الحوادث كانت أسبق من أن تلحق ، والرؤوس أعصى من أن تسلس، والأحزاب أكثر من أن تجمع ، والجرح أعمق من أن يدمل ، فلم يذق الخليفة الرابع للراحة طعماً ، ولم تصْفُ له الخلافة يوماً .

شقّ عليه أن يرمى بالتّهاون فى المطالبة بدم عثمان ، وأن يخرج عليه بعض الصحابة وعلى رأسهم طلحة والزبير ومعهما عائشة، ولا يصيخون لنصحه ونصح الحريصين على وحدة المسلمين . وسرعان ما خرجوا إلى البصرة لقتاله ، وعند ماء الحوأب نبحتهم كلابه، فسألت عائشة محمد بن طلحة . أىّ ماء هذا ؟ قال : ماء الحوأب . فقالت : ما أرانى إلا راجعة، قال : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله يقول لنسائه : وكأنى بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب ، وإياك أن تكونى أنت يا حميراء ، فقال ابن طلحة : تقدمى رحمك الله ، ودعى هذا القول ، وحلف عبد الله بن الزبير أنها غادرته أول الليل ، وأتاها ببينة من الأعراب فشهدوا بذلك زوراً . فزعموا أنها أول شهادة زور فى الإسلام .

ونشب القتال وعائشة فى هودجها على جمل يحميه مروان بن الحكم فى نفر من المقاتلين ، إلى أن هزموا ، وأسرت عائشة ومروان بعد أن رمى طلحة بسهم قضى عليه ، وغدر بنو مجاشع بالزبير ، إذ قتله عمر بن جرموز بن الذيال وهو منصرف من المعركة ، وأخذ سلبه . وقد رمى جرير الفرزدق وقومه بهذا الغدر فى بعض قصائده كقوله :

جُوفٌ مَجارِفُ لِلْخَزِيرِ وَقَدْ أَوَى سَلَبُ الزُّبَيْرِ إِلَى بنِي الذَّيَّالِ[1]
وَدَعَا الزُّبَيْرُ مُجَاشِعاً فتَرَمَّزَتْ لِلْغَدْرِ أَلْأَمَ آنُفٍ وَسِبالِ[2]

---

(١) الجوف : الذين لاقلوب لهم . وبنو الذيال من بنى سعد وهم رهط عمرو بن جرموز قاتل الزبير .

(٢) ترمزت : تحركت . أى رمز بعضهم بعضا أن اغدروا به ، والترمز : الإشارة بالعينين والحاجبين والشفتين ، وسبال : شوارب .

وأكرم على عائشة ، وجهزها بما تحتاج إليه ، وسيّر معها أولاده .

ولم يفرغ من وقعة الجمل حتى ألتقى بمعاوية وجند الشام فى صفّين ، وتوالى القتال أياماً ، وحانت ساعة النصر للعلويين ، ونادى ابن العاص برفع المصاحف طلباً للتحكيم ، فدبّ الخلاف فى جيش على ، وكان قبول التحكيم سبباً فى ظهور الخوارج الذين أجمعوا على التخلص من على ومعاوية وعمرو ، وتم لهم ما أرادوا فى على ، ونجا الآخران من القتل . واجتمع الأمر لمعاوية عام الجماعة الأول .

(د) الأحداث بعد عام الجماعة :

استأثر أبناء أمية بالخلافة ، ولكن العصبية التى أوقدوا جذوتها بين القبائل العربية ثم بين العرب وأهل الذّمة ، لم تلبث أن امتدت إليهم فقسمتهم إلى بيتين : هما البيت السفيانى والبيت المروانى .

١ — البيت السفيانى :

استطاع معاوية بن أبى سفيان بحنكته السياسية ، وحسن تدبيره وحزمه ، وكثرة بذله ، ونفاذ بصيرته ، أن يثبت قواعد ملكه ، وأن يأخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد قبل موته .

وخلف يزيد أباه وبايعه الناس إلا قليلا من أهل المدينة ، كالحسين بن على وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وابن عباس فكتب إلى الوليد بن عتبة والى المدينة أن يأخذ له البيعة ممن امتنعوا عن مبايعته ، فبايع ابن عمر وابن عباس وأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعا ، وخرجا إلى مكة ، ونزلا بها .

ولما علم أهل الكوفة بانتقال الخلافة إلى يزيد كتبوا إلى الحسين يستقدمونه لمبايعته ، فأشار عليه أصدقاؤه برفض دعوتهم لترددهم ، وعدم ثباتهم ، غير أن ابن الزبير شجعه على قبولها لغرض فى نفسه ، فقبلها وخرج ومعه أهله وأولاده

وفئة قليلة من أنصاره لا تتجاوز الثمانين رجلاً . وفى الطريق التقى بالفرزدق ، فسأله عن الناس فقال : «القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر فى السماء»[1] . ثم علم بمقتل بعض أصحابه ومنهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب ، فكرر المخلصون النصح بالعودة والاعتصام بمكة ، وهمّ بالرجوع ، ولكن إخوة مسلم أصروا على الأخذ بثأره ، فمضى معهم ، وحين منعته جيوش الأمويين من الاقتراب من الكوفة عسكر بمن معه فى سهل مدينة كربلاء ، وانتهت المخابرات بين الفريقين بالإخفاق ، كما انتهت المعركة بقتل الحسين ومن معه قتلاً شنيعاً فى ١٠ من المحرم سنة ٦١ هـ — ١٦ من أكتوبر سنة ٦٨٠ م بعد أن ضرب وصحابته — رضوان الله عليهم — أمثلة عليا فى الصبر والبسالة والفداء والورع وأدب الحرب والبلاغة .

وباستشهاده تخلص يزيد من منافس قوىّ ، وتورّط فى آثار مأساة كربلاء التى أوغرت نفوس الشيعة ، فبالغوا فى نشر مساوئها بالعراق وفارس والحجاز ، وكثر أنصارهم ، وندم من قعد عن نصرة الحسين ، وأصبح للعلويين شأن خطير يهدد الأمويين ، فقامت ثورات عنيفة شغلت يزيد وعماله ، حتى قضى نحبه فى الأربعين من عمره .

وترك ابنه معاوية الثانى صبيًّا ورعاً ، منزوياً فى داره ، متأثراً بمأساة كربلاء ، محبًّا لبنى هاشم ، عازفاً عن الملك ، متجهاً إلى الاقتداء بأبى بكر فى ترشيح رجل للخلافة ، فلم يجد الرجل ، وأراد أن يحذو حذو عمر فى ترشيح ستة فلم يفلح ، فترك الأمر شورى بين الناس ، وقال لهم : فأنتم أولى بأمركم ، فاختاروا من أحببتم ، فقالوا : ولِّ أخاك خالداً ، فقال : والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فلا أتقلد وزرها . ثم صعد المنبر وقال : « أيها الناس إن جدى معاوية نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بن أبى طالب ، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهيناً بذنوبه ،

---

(١) « البيان والتبيين » .

وأسيراً بجرمه » . ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه وقال : « إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه ، وبؤس منقلبه ، وقد قتل عِتْرَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمّل تَبِعاتكم ، فشأنكم وأمركم . والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظّاً ، ولئن كانت شرًّا فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها . ألا فليصلِّ بالناس حسان بن مالك ، وشاوروا فى خلافتكم رحمكم الله » . ثم دخل منزله ، وتغيب حتى مات فى سنته بعد أيام[١] .

أنهى معاوية الثانى بوثيقته الخطيرة ، وبحياته القصيرة الخلافة فى البيت السفيانى ، وقوى حزب ابن الزبير . ودخل فى دعوته جميع أهل الحجاز والعراق وخراسان وفارس ومصر ، وأكثر أهل الشام ، وزاد من نفوذه انقسام الأمويين على أنفسهم ، حتى همّ مروان بن الحكم زعيم أكبر أحزابهم بمبايعته ، غير أن تتابع الأحداث ، وقعود ابن الزبير عن تلبية دعوة أنصاره بالشام ، مكن من استفحال النزاع بين اليمنية من كلب ، والمضرية من قيس ، ومن اتفاق الأمويين فى مؤتمرهم بالجابية على مبايعة مروان بالخلافة ، فانتقلت إلى البيت المروانى .

٢ – البيت المروانى :

استعان مروان بالقبائل اليمنية فى إخضاع القبائل القيسية التى اجتمعت بمرج راهط ، وبايعت زعيمها الضحاك بن قيس الذى أمدّه النعمان بن بشير وزفر بن الحارث بالمحاربين ، وانتصر مروان ، وقتل الضحاك ، كما قتل النعمان وهو فارّ من حمص ، وفرّ زفر بن الحارث من قنسرين واعتصم بقرقيسيا ، ولم يتمكن أحد من إخضاعه ، إلى أن كان عهد عبد الملك فسار إليه وعقد معه صلحاً وصاهره .

وحفظت مرج راهط للأمويين ملكهم ، وأذكت نار العصبية بين اليمنية والقيسية ، وأعانت الشعراء على هجاء قيس وشاعرها جرير .

---

(١) « النجوم الزاهرة » ١/١٦٤ .

قال الأخطل يهجو قيساً :

ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبَهُمْ　　وَقَيْسُ عِيلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجَرُ[1]

وقال يذكر فرار زفر بن الحارث :

لَعَمْرُ أَبِيكَ والأَنْباءُ تنمَى　　لَقَدْ نَجَّاكَ يَا زُرَ الفرارُ

فقال جرير يهجو الأخطل ويذود عن قيس :

قيْس وَخِنْدِفُ أَهْلُ المَجْدِ قَبْلَكُمُ　　لَسْتُمْ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ لَهُمْ خَطَرُ

وقال للفرزدق :

وَلَقَدْ جَهِلْتَ بِشَتْمِ قَيْسٍ بَعْدَ مَا　　ذَهَبُوا بريشِ جَنَاحِكَ الْمَكْسُورِ

ومضى مروان يغالب بن الزبير وأنصاره ، ولم يستخلص لنفسه غير الشام ومصر ، وعاجلته المنية بعد أن عهد فى الخلافة لابنيه : عبد الملك ثم عبد العزيز ، فسنّ سنة النظام الثنائى فى ولاية العهد ، ونقض قرار مؤتمر الجابية ، وكان يقضى بأن تكون الخلافة بعده لخالد بن يزيد بن معاوية ثم لسعيد بن العاص .

وأشرفت الدولة بعده على الانهيار لولا أن قيض الله لها ابنه عبد الملك الذى يعدّ بحق المؤسس الثانى للدولة الأموية ، فانتشلها من وهاد الفوضى ، وأقام صرح مجدها على دعائم وطيدة ، بفضل ماامتاز به من عقل راجح ، وبراعة فى تصريف الأمور وحسن اختياره لولاته وقوّاده الذين نكلوا بالخارجين ، وقضوا على العابثين ، واستتب الأمن ، وساد السلام ، وعمّ الرخاء ، وازدهرت الحضارة

وفى عهده نجح قائده الحجاج بن يوسف فى القضاء على ابن الزبير ، والاستيلاء على الحجاز عام ٧٣ هـ/٦٩٢ م المعروف بعام الجماعة الثانى . كما تمكن هو والمهلب بن أبى صفرة من القضاء على الخوارج .

---

(١) غواربهم : جمع غارب وهو الكاهل أو ما بين السنام إلى العنق أو أعلى كل شىء .

وسادت سياسة القمع والجبروت والأخذ بالظنة ، فاستكان الناس ، وسكنت الأحزاب السياسية والفرق المذهبية حيناً طويلاً .

وبلغت الدولة أقصى اتساعها أيام الوليد بن عبد الملك ، ونعم الأهلون باليسر والرخاء ، والتقدم الاجتماعي والعمراني ، وبقى الحجاج مع الوليد كما كان مع أبيه عضداً فى الفتح ، وسنداً فى إرساء قواعد الملك .

وفى آخر عهده عزم على خلع أخيه سليمان من ولاية العهد ، ليخص بها ابنه عبد العزيز ، ووالاه فى ذلك الحجاج ، وقتيبة بن مسلم ، وجرير ، ولكنه مات قبل أن يبرم ما عزم عليه ، ومن قبل مات الحجاج ، واعتلى سليمان عرش الخلافة ، وكان قتيبة بن مسلم على جيوش خراسان ، فشغب عليه وكيع بن أبى سود من بنى يربوع رهط جرير وقتله ، ولهذا عفا سليمان عن جرير ، واتسع لجرير مجال الفخر بهذا الحادث والحط من شأن الفرزدق :

فَغَيْرُكَ أدَّى لِلْخَلِيفَةِ عَهْـدَهُ ... وَغَيْرُكَ جَلَّى عَنْ وُجُوه الْأَهَاتِمِ (١)

فَإِنَّ وَكِيعاً حِينَ خَارَتْ مُجَـاشِعٌ ... كَفَى شَعْبَ صَدْعِ الْفِتْنَةِ الْمُتَفَاقِمِ (٢)

وتعاقب على الخلافة عمر بن عبد العزيز ، فيزيد بن عبد الملك ، فأخوه هشام ، فالوليد بن يزيد ، فكانت بين صعود وهبوط ، إلى أن قوى أنصار العباسيين من بنى هاشم ، فانتزعوها من آخر خلفاء الأمويين مروان بن محمد ، وكانت الأحزاب السياسية ، وعوامل الفرقة قد أخذت فى التفاقم من جديد .

(هـ) الأحزاب السياسية والفرق المذهبية :

مزق الخلاف على الخلافة وحدة الدولة الإسلامية إلى أمويين ، وشيعيين وزبيريين ، وخوارج ، ومرجئة ، وسنّيين ، ومعتزلة .

---

(١) فغيرك أدى للخليفة عهده : يعنى وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود الذى قتل قتيبة ابن مسلم وبعث برأسه إلى الخليفة . وجلى عنه : كشف الهم وأذهبه . الأهاتم : بنى الأهتم .

(٢) خارت : ضعفت . الشعب : التفرق وأصله ماتشعب من قبائل العرب والعجم . والصدع : الشق .

١ – الحزب الأموى :

شأنه شأن الأحزاب الحاكمة ، يمثل السواد الأعظم ، ويؤازره كثرة من المؤيدين ، ينافحون عنه ، ويخرسون ألسنة المعارضين من الشيعة والخوارج والزبيريين . ويعتمدون فى آرائهم على الرفع من قدر خلفاء بنى أمية ، وإنزالهم منزلة مقدسة ، فهم خلفاء الله ورسوله فى الأرض تجب طاعتهم ونصرتهم .

ومن شعرائهم الكثيرين : أبو العباس الأعمى بمكة ، والأحوص بالمدينة ، وجرير والأخطل والفرزدق بالعراق ، وعدى بن الرقاع العاملى بالشام ، وهو الذى يمدح الوليد ويعلى قدره بقوله :

إنَّ الوليدَ أَمير المؤمنين له ... مُلْكٌ عليه أَعانَ اللهُ فارْتَفَعا

ومن شعرائهم الذين أيدوا سياسة واليهم الحجاج ، أعشى همدان وفيه يقول :

وَمَا زَاحَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتَــهُ ... مُعَاناً ملَقًّى لِلْفُتُوح مُعَوَّدَا

٢ – الحزب الشيعى :

أشياع على بن أبى طالب الذين ينادون بأحقيته بالخلافة دون غيره من الصحابة ، وشايعوا أبناءه من بعده ، وأوردوا الكثير من الأسانيد والنظريات التى تسوّغ دعواهم ، وغالى بعضهم فى الانتصار لعلى حتى أضفى عليه بعض صفات التقديس ، وقد تشعبت شيعهم ، فمنهم الزيدية أتباع زيد بن على ابن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ومنهم الإمامية الاثنا عشرية ، ومنهم الإمامية السبعية المعروفة بالإسماعيلية التى يتزعمها ابن أغا خان فى عصرنا الحاضر.

٣ – حزب الخوارج :

وهم الذين خرجوا على إمامهم الذى بايعوه بعد قبوله التحكيم ، ونادَوْا بأن

الخلافة حق لكل مسلم حرّ ولو كان عبداً حبشياً ، ولا يصحّ للخليفة أن ينزل عن منصبه بعد انتخابه ، بل يصح عزله أو قتله إذا جار أو أساء استعمال سلطته ، وقد عرفوا بالفدائية ، والتعصب لمبادئهم ، والتحمس لها .

ومن فرقهم : الأزارقة : أتباع نافع بن الأزرق ، والإباضية : أتباع عبد الله ابن إباض التميمى ، والصفرية : أتباع زياد بن الأصفر .

٤ – الحزب الزبيرى :

أنصار عبد الله بن الزبير بالحجاز فى أحقيته بالخلافة بعد مقتل الحسين ، فالخلافة فى رأيهم يجب أن تعود إلى الحجاز ، وأن يتولاها أحد أبناء الصحابة الأولين ، وقد بويع بالخلافة فى جميع الأقاليم الإسلامية ما عدا بعض بلاد الشام ، ولم ينقضها عليه غير انتصار ابن الحكم بمرج راهط .

وأشهر شعراء الزبيريين ابن قيس الرقيات شاعر مصعب بن الزبير بالعراق ، وله فيه وفى زوجتيه . . سكينة بنت الحسين ، وعائشة بنت طلحة مدائح جليلة ، وفى شعره ثورة على عبد الملك وأهل الشام ، ومنه :

كَيْفَ نَوْمِى عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا ... تَشْمَل الشَّامَ غارَةٌ شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بنِيه وَتُبْدِى ... عَنْ براها العَقِيلَةُ الْعَذْرَاءُ

٥ – المرجئة :

يمثلون المعتدلين النائين عن الفتن التى أثارها الشيعيون والخوارج وغيرهم . وقد أرجئوا الحكم على أشياع على ، وأتباع الخوارج ، وأهل الفتنة والقتل من المسلمين إلى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فيحكم فيما شجر بينهم من خلاف ، وهو خير الحاكمين ، ولذا سموا بالمرجئة ، وأكثرهم من الصحابة الذين ضنّوا بأنفسهم ، فلم يزجوا بها فى النزاع الذى قام حول الخلافة بعد مقتل عثمان .

٦ – أهل السنة :

أهل السنة والإجماع : هم جمهرة المسلمين الذين رضوا بما تم فى انتخاب الخلفاء الأربعة ، والتزموا أحكام القرآن، وما سنّه الرسول عليه السلام فى حياته . وكانوا الكثرة الغالبة فى إقرار الخلافة فى شتى أطوارها .

٧ – المعتزلة :

قامت مبادئهم على تحكيم العقل فيما نشب بين المسلمين من خلاف حول الخلافة ، وعرفوا بالمعتزلة عند ما خالف زعيمهم واصل بن عطاء أستاذه الحسن البصرى ، فى المسائل التى تداولها الخوارج والمرجئة ، حول معرفة المصيب والمخطئ فى الفتنة التى تلت مقتل عثمان ، فاعتزل هو وأتباعه ، واختاروا لهم مكاناً بالمسجد. ولمبادئهم أثر واضح فى نضوج الفكر العربى ، وانتشار المذاهب العقلية ، والحجج النظرية ، بين مختلف الطوائف الإسلامية .

٢ – الحياة الاجتماعية

(ا) طبقات :

قام المجتمع العربى فى عصر جرير على طبقات ثلاث تختلف باختلاف النشأة والأصل ، والثقافة ، والمنصب ، والثروة ، ولكل طبقة أثرها فى الشعر والشعراء .

فنى الذروة من هذا المجتمع تتربع « طبقة المترفين » أو الأرستقراطيين ، بمكة والمدينة والشام ، من غالب قريش ، وتشمل الخليفة وبيته ، وولاة الأقاليم ، وقادة الجيوش ، وأفراد البيت الهاشمى ، والذين أثروا من الفتح. ويتبع هذه الطبقة المترفة حاشية من الأصدقاء ، والندماء ، والجند ، والحراس ، والموالى ، والخدم ،

والجوارى . وكان الخدم أرقاء مجلوبين من الشعوب غير الإسلامية شراء أو أسراً ، وأغلب الرقيق الأبيض من اليونان والصقالبة والأرمن والبربر . وبعضهم خصيان يقومون على خدمة سيدات القصور . أما الجوارى فكنّ ذوات ثقافة وجمال ، يُحْسِنّ الغناء . ويُجِدْنَ الرقص ، ويتخذ الخلفاء والأمراء منهن السرارى والمحظيات . وربما سيطر لبعضهن نفوذ على مواليهنّ . وبجانب هؤلاء نشأت بالحجاز مجالس الغناء التى انتقلت فيما بعد إلى قصور الخلفاء بالشام . وترنم الشعراء المترفون من فتيان مكة والمدينة بغزل صريح عابث ، يطفئون به شهوة اللهو ، ويصورون فيه قصة الحب . وردّده المغنون والمغنيات سهلاً عذباً ، مطرباً أخّاذاً . ومن الغزليين اللاهين : عمر بن أبى ربيعة والأحوص ، ومن المغنيات : حبابة ، وسلامة القس ، وعقيلة ، والذلفاء . ومن المغنين : طُوَيْس ، ومعبد ، ومِسْجَح ، وابن سُرَيْج ، والغريض . ويجدر بنا ونحن بصدد الكلام عن غزل المترفين الإباحى الصريح أن نشير إلى غزل الطبقة العامة التى كانت تنزل بنجد وبوادى الحجاز ، بعيدة عن الترف . وقد أكسبها التدين ، وشظف العيش صفاء فى الروح ، وسمواً فى الشعر ، وعفة فى الحب ، فقصّدوا قصائد الغزل العذرى العفيف ، وكان منهم كثير عزّة ، وجميل بثينة .

والطبقة الثانية : أواسط القوم ، وقوام المجتمع ، وأساس نشاطه ، يتمتعون بحياة كريمة ، ومنهم العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، وذوو المواهب الممتازة ، وبعض الأثرياء ، هم فى السلم رجال الفن ، وأرباب التجارة ، وأصحاب المهن ، وهم فى القتال وَقود الحرب ، وجنود الفتح يكثرون بالبصرة والكوفة ، وقد نزلوا بهما قبائل متجاورة محتفظة بتقاليدها . فولد التجاور شدة فى العصبية ، وحدة فى الفخر والهجاء .

والطبقة الثالثة : من عامة العرب ، وتتألف من سواد الأمة فى البوادى والقرى وأكثرهم من الفلاحين ، ومن أهل الذمة ممن شاع الإسلام بينهم ، يرعون الإبل والغنم فى مرابعهم ومصايفهم ، ويكثر بينهم التنازع على الماء ، والمفاخرة والهجاء ،

وأكثرهم يجد حياته فى الارتحال والتنقل ، وانتجاع موارد الرزق .

وبين هذه الطبقات الثلاث عاش أهل الذمة فى مستوى اجتماعى أدنى من مستوى المسلمين . غير أن التسامح الدينى دفع المسلمين إلى معاملتهم معاملة حسنة ، فتمتعوا بكامل الحرية فى سائر سبل النشاط ما داموا يؤدون الجزية ، وقد أثرى بعضهم ثراء عريضاً عن طريق مواهبه المهنية والإدارية ، فقد كان منهم حذاق الصناعة ، وخبراء المال والإدارة ، كما خدم بعضهم الدين والثقافة ، ومنهم شعراء لزموا الخلفاء والأمراء وأجواد العرب يمدحونهم ، وينالون من برهم . وفى شعر بعضهم نزعة شعوبية ينفس بها عن نفسه التى أنفت السيادة العربية كقول إسماعيل بن يسار النسائى :

إنَّما سُمِّى الْفَوَارِسُ بِالْفُـرْ ... سِ مُضَاهاة رِفعَة الأَنسابِ

(ب) أزياء وعادات وآداب :

يرتدى الخليفة ثوباً أبيض ، وعمامة بيضاء مرصعة بالجواهر . ويصلى بالناس ، ويخطب الجمعة وبيده شارتا الملك : الخاتم والعصا .

وزى البدوى القباء الطويل ، المشقوق من الوسط ، المتدلى إلى العقب ، المربوط من الوسط بحزام من الجلد ، ويلبس فوق القباء عباءة من وبر الجمل ، وكثيراً ما يستر العمامة والرقبة والكتفين بالطيلسان أو الكوفية المصنوعة فى الكوفة . وفى الحرب أو عند ركوب الخيل يشد على جسمه السروال والرداء القصير .

وكان الناس أيام الأمويين يستمعون إلى القصاص بالمساجد ، وإلى الشعراء بالأسواق ، يقضون فراغهم فى الصيد ، وسباق الخيل ، واللعب بالكرة[1] .

وواجب المسلمين يتزوجوا وينسلوا . وخير الزوجات من تخدم زوجها ، وتدبر شئون بيتها ، وترعى أبناءها ، فتنشئهم على المروءة والنجدة ، وتقضى فراغها

---

(١) وإلى هذا الضرب فى اللعب بالكرة يقول شاعرهم :

كرة ضربت بصوالجة ... يتلقفها رجل رجل

بين مغزلها ومنسجها ، وخير الرجال الشجاع الكريم الأديب ، وافر المروءة ، وفيّ بالوعد ، كتوم للسر ، متجنب لقرناء السوء ، نظيف الثياب إذا لبس ، قليل المزاح إذا ضحك ، حسن الأكلة إذا أكل .

(ج) عصبيات :

عني الأمويون ببعث العصبية الجاهلية من مرقدها بعد أن وأدها الإسلام[1] . وما كان أشد تعطش القبائل كتميم وقيس من مضر ، وبكر وعبد القيس من ربيعة ، وكندة والأزد من اليمن إلى هذا البعث ، يطفئون به غلة كانت كامنة فى نفوسهم ضد المهاجرين من قريش والأنصار من الأوس والخزرج لسبقهم إلى الإسلام ، واستمتاعهم بالسلطان ، وقد فرق مقتل عثمان بين المهاجرين والأنصار أو بين قريش واليمن إذ انضم الأولون إلى معاوية ، وثبت الآخرون مع على ، ثم أصبحت قريش فى كفة ، والعرب كلها نزارية ويمنية فى أخرى ، وشرع معاوية يسترضى الفريقين ، فانصرف أولاً إلى تأليف اليمنيين ، وكان قد بدأ شيئاً من هذا مع الكلبيين بزواجه منهم « ميمون بنت بحدل » أم ابنه يزيد ، وكان عثمان قد أصهر إليهم من قبل ، فوقفت كلب ومن انضم إليها من سائر اليمنية وغيرهم ضد قيس والأنصار ، وبذلك صارت العرب كلبية وقيسية أو يمنية ومضرية ، ثم سرت عدوى هذا الانقسام فى جميع الأقاليم الإسلامية ، وكان له فى الشعر شئون.

وبعد موت معاوية الثانى بايعت القيسية بالشام ابن الزبير ، وتعصب الكلبيون لخالد بن يزيد لأنهم أخوال أبيه ، وانضم إليهم مروان بن الحكم ليستخلص الأمر نفسه ، وانتهت معركة مرج راهط بهزيمة القيسية ، وانتصار اليمنية ، واستئثار مروان بالخلافة .

وثارت العصبية بين قيس وتغلب ، وحرصت تغلب على نصرانيتها ، فعصمت

(١) وأد : دفن .

نفسها بالوقوف مع الأمويين فى الخلاف بين قيس وأمية ، ونشبت معارك بين القيسيين والتغلبيين ، كان لقيس منها أيام : ماكسين ، والثرثار الثانى ، وفدين ، والسكير ، والتبليخ ، والكحيل ، والبشر ، وكان لتغلب الثرثار الأول ، والشرعبية والحشاك . وحين وقف الأخطل شاعر تغلب يعين الفرزدق على جرير انبرى له جرير شاعر قيس — وهو من تميم — يعدد مساوئ تغلب وشاعرها ، فيجيبه الأخطل بهجاء كليب بن يربوع وقيس ، ثم ينتصر جرير لرهطه ولقيس على دارم رهط الفرزدق ، وعلى تغلب ، ويتألف من هذا نقائض جرير والأخطل .

وعصبية تميم من أشد العصبيات اضطراباً ، إذ أنها تبدو بين تميم وقيس مرة ، ثم بين تميم وتغلب أخرى حين يتدخل الأخطل بين شاعرى تميم ، فتتنازع الأهاجى العصبيات المختلفة ، وتتعقد ، فيقف الأخطل والفرزدق مع تميم وتغلب ويهجو الفرزدق قيس عيلان ، وكليب بن يربوع ، وجريراً ويفخر بتميم ودارم وتغلب . ويقف جرير بجانب تميم وقيس عيلان ، ويهجو دارماً وتغلب ، والأخطل والفرزدق ، ويفخر بتميم ويربوع وقيس . ثم ينتمى كل من شاعرى تميم إلى قريش ، ويفخر بمضر أو بخندف . ويزداد التعقيد حين تنقسم تميم على نفسها ، فتظهر فيها عصبيات تميمية داخلية ، بل إن اليربوعيين يتنازعون فيما بينهم ويدبّ الخلاف بين الدارميين ، فتتعدد فروع العصبية التميمية وتختلط العصبيات أصولاً وفروعاً ، ويشتد تناحر القرناء ، وتتقابل ألسنة الشعراء ، فى ميادين الفخر والهجاء .

ومن العصبيات عصبية الجنس بين العرب والموالى ، وكان جرير يخرج على تقاليد العرب فيمدحهم ، إلا أنه أثارهم مرة وهو يهجو الأخطل بقوله :

لَا تَطْلُبَنَّ خُئُولَةً فى تَغْلِبٍ   فَالزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوَالَا

فغضب العبيد من الزنج ، وقام رجل منهم يقال له : سنيح بن رياح ورد

عليه[١] بأبيات منها :

الزَّنج لَوْ لَاقَيْتَهمْ فى صَفِّهِمْ   لَاقَيْتَ ثَمَّ جَحَاجِحا أَبْطَالَا[٢]

٣ — التيارات الثقافية

(ا) الحياة الأدبية :

اصطبغت الحياة الأدبية فى عصر جرير بالصبغة العربية الإسلامية ، لحرص الأمويين على التمسك بكل ما هو عربى ، وقربهم من عهد البداوة ، وتمكن القرآن العربى المبين من النفوس ، واتساع الثقافة الإسلامية ، واستكانة الأمم المفتوحة ، واستجابتها للحياة العربية الإسلامية الجديدة ، المؤسسة على قواعد الحق والعدل والحرية والمساواة .

وعلى الرغم من تأخر رقىّ الكتابة العربية إلى آخر العصر ، فإن الخطابة قد قوى شأنها ، ونهضت بجميع أغراضها : الدينية والسياسية والاجتماعية ، على ألسنة الخلفاء والولاة والقواد وكبار رجال الدولة ، أوقدتها الفتن والثورات ، وغذتها الحروب والعصبيات ، وللحجاج وابن الزبير وزياد ومعاوية وعبد الملك وأضرابهم فيها باع طويل .

أما الشعر فقد رد لنفسه مكانته الجاهلية ، وزاد رقيا فى الفن ، وطولاً فى القصائد ، وتنوعاً فى الرجز ، وتجدّداً فى الأغراض ، وتطوراً فى المعانى ، وانسياباً فى الأساليب ، واندماجاً فى السياسة يفى بغاياتها ، وينطق بألسنة أحزابها ، وتأثراً بالحياة الاجتماعية يتمشى مع طبقاتها ، وينافح عن عصبياتها ، فزخر بالنقائض ديوانه ، وعجّ بالمجالس رواته ونقّاده . وتعددت فى البلاد أوطانه .

---

(١) « النقائض » وفى « مهذب الكامل » : رياح بن سنيح ورواية النقائض أقوى .
(٢) جحاجح : أسياد يسرعون إلى المكارم .

وأظهر فنونه التى حظيت بالتجديد : الغزل صريحه وعفيفه ، والسياسة ، والهجاء ، والفخر ، وما تبع هذين الأخيرين من نقائض وأماديح .

(ب) أوطان الشعر :

كانت مكة والمدينة ونجد بالحجاز موطن نهضة الغزل بنوعيه ، كما كانت البصرة والكوفة والبوادى بالعراق بما اجتمع فيها من أحزاب سياسية ، وفرَق مذهبيه ، وعصبيات قبلية وجنسية ، ومعارضات قوية ، موطناً لتقدم الشعر السياسى ، ومثاراً للهجاء والفخر والمناقضة ، ولم تكن دمشق بالشام إلا مقرّاً للسياسة والحكم ، يفد إليها الشعراء المؤيدون يمدحون ويستجدون ، ويحظون بمجالسة الخلفاء ، يشتركون فى ندواتهم ، ويصيبون من فضلهم . وبذلك كانت دمشق موئلاً للأماديح ، ولم يظهر من شعرائها إلا قلة لا تعدّ شيئاً بجانب كثْرة شعراء الحجاز والعراق ، ولم يشتهر من شعراء الشام سوى عدى بن الرقاع العاملى .

(ج) عوامل التطور الأدبى :

أسلفنا القول فى العوامل السياسية والاجتماعية التى أثرت فى تطور الشعر الأموى ، غير أن هناك عوامل أخرى أدت كذلك إلى نهضة الأدب الأموى عامة منها : نشاط النقد الأدبى ، واكتظاظ الأسواق بحلقات الأدب وتناشد الأشعار وإفساح المجال للأدباء فى مجالس الخلفاء .

(د) النقد الأدبى :

انتشر النقد الأدبى ، وجرى على ألسنة طوائف المجتمع فى البوادى والأمصار : فهذا رجل من رهط الفرزدق يفد على امرأة من بنى حنيفة . فلما عرفت أنه من بنى نهشل قالت : أنت إذاً ممنْ عناهُ الفرزدقُ بقوله :

إِنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنَا   بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

بَيْتًا بَنَاهُ لَنا الْمَلِيكُ ،وَمَا بَنَى مَلِكُ السَّماءِ فَإِنَّهُ لا يُنْقَلُ

بَيْتاً زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوارِسِ نَهْشَلُ

قال : نعم ، وأعجبه ما سمع منها ، فضحكت وقالت : فإن ابن الخطَفَى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول :

أَخزَى الَّذِى رَفَع السَّمَاءَ مُجَاشِعاً وَبَنَى بِنَاءَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ

بَيْتاً يُحَمِّمُ قَيْنُكُمُ بِفِنَـائِهِ دَنِساً مَقَاعِدُهُ خَبِيثَ الْمَدْخَلِ

فوجم الرجل ، فقالت له : لا عليك ، فإن الناس يقال فيهم ، ويقولون .

وعند ما سئل ابن سلام : أى البيتين أجود : أقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ (١)

أم قول الأخطل :

شُمسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدِرُوا

قال : بيت جرير أحلى وأسير ، وبيت الأخطل أجزل وأرصن ، فقيل له . صدقت .

(هـ) أسواق الأدب :

غصّت أسواق الأدب بشعراء القبائل والأحزاب ، وأشهرها «المِرْبَد » عكاظ العرب فى الإسلام بالبصرة ، و« الكُنَاسَة » بالكوفة . وكانت تتحلق القبائل حول شعرائها ، فلجرير حلقته ، وللفرزدق حلقته ، ويؤمّ الناس هاتين الحلقتين ، وغيرهما من الحلقات التى كانت تنعقد هناك كل يوم ، ليستمعوا إلى ما ينشد الشعراء ، وتشجع كل قبيلة شاعرها ، واتخذ الناس هذه الأسواق مسرحاً للتسلية

---

(١) الراح : جمع راحة : باطن الكف .

يشغلون بها فراغهم في سلمهم . وكانوا يحرصون على ود الشعراء تقيةً لألسنتهم .
يقول الجاحظ : «ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، ومن هذا
الهجاء ما كان بين جرير والشعراء على ساحة المِرْبَد » .

(و) مجالس الخلفاء :

عمرت مجالس الخلفاء والولاة بالعلماء والأدباء والمحدثين والرواة ، والقصاص
والشعراء وكل ذى فضل من رجال العصر ، ولم تخل هذه المجالس من رأى يبحث ،
وعلم يدرس ، وخبر يروى ، وعهد يعقد ، وقصص يسرد ، وشعر ينشد ، وأدب
ينقد ، مما أفاء على الحياة الأدبية نشاطاً ، وأكسبها ازدهاراً .

ومن ذلك مجلس عبد الملك بن مروان — وما أكثر مجالسه — وقد ضمّ جريراً
والفرزدق والأخطل وأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار ، وقال لهم : ليقل
كل منكم بيتاً فى مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس ، فبدر الفرزدق فقال :

أَنَا الْقَطِرَانُ والشُّعَرَاءُ جَرْبَى وَفِى الْقَطِرَانِ لِلْجَرْبَى شِفَاءُ

فقال الأخطل :

فَإِنْ تَكُ زِقَّ زَامِلَةٍ فَإِنِّى أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ[1]

فقال جرير :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِى آتِى عَلَيكُمْ فَلَيْس لِهَارِبٍ مِنِّى نَجَاءُ

فقال عبد الملك : خذ الكيس ، فلعمرى إن الموت يأتى على كل شيء .

(١) الزق : السقاء . والزاملة : الدابة التى تحمل عليها من الإبل وغيرها .

واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ، فقال : من مدحني منكما بشعر يوجز فيه ، ويحسن صفتي فهذه الخلعة له ، فقال الفرزدق :

فَمَنْ يَـأْمَنُ الحَجَّاج ـ وَالطَّيْرُ تَتَّقِى عُقُوبتَهُ ـ إلاَّ ضَعِيفُ الْعَزَائِمِ

فقال جرير :

فَمَنْ يَـأْمَنُ الْحَجَّاجَ ـ أَمَّا عِقَابُهُ فَمُرٌّ ، وَأَمَّا عَقْدُهُ فَوَثِيقُ

يُسِر لَكَ البَغْضَاءَ كُلُّ مُنَـافِقٍ كَمَا كُلُّ ذِى دِينٍ عَلَيكَ شَفيقُ

فقال الحجاج للفرزدق : ما عملت شيئاً ، إن الطير تتقى الصبي والخشبة ، ودفع الخلعة إلى جرير .

الفصل الثانى

جرير فى عصره

١ ـ حياته

(ا) اسمه ونسبه :

هو جرير بن عطية بن الخطفى . وجدّه الخطفى من العلماء بالنسب وبالغريب ، وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[1] ، وإنما سمى الخطفى لأبيات قالها :

يَرْفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا   أَعْنَاقَ جِنَّانٍ وَهَاماً رُجَّفَا
وَعَنَقاً بَاقِى الرَّسِيمِ خَيْطَفَا[2]

(ب) كنيته :

يكنى جرير بأبى حزْرَة ، وحزْرَةُ ابنه الأكبر ، كما يكنى بابن المراغة ، والمراغة من الأسماء القبيحة للأتان ، لقب نُبِزَتْ به أمه من أحد الشعراء الذين هاجوه ، لأن كليباً كانت رعاة غنم وحمير .

(حـ) منازل قبيلته :

كانت قبيلته كليب حيًّا من أحياء يربوع من بنى تميم ، وكان بنو كليب

(١) « الأغانى » و « البيان والتبيين » وشرح ديوان الحماسة .

(٢) قال الجاحظ : إن العنق ضرب من السير وهو المسبطر ، فإذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ، والرسيم فوق الذميل ، والخيطف السريع أى يخطف كما يخطف البرق ، وخيطف من الخطف والياء زائدة فى خيطف كما قالوا رجل صيرف من الصرف ، ورجل جيدر من الجدر وهو القصر ، وأصل الخطف الأخذ فى سرعة ثم استعير لكل سريع .

رقاق الحال ، يرعون الغنم والحمير ، لا خيل لهم ولا جمال ، وينزلون بالبادية بقرية حجر ، من قرى اليمامة بالجنوب الشرقى من نجد ، وتعرف الآن بالرياض.

(د) طفولته :

ولد بالبادية سنة تسع وعشرين من الهجرة[١] فى خلافة عثمان ، ويروى أن أمه أم قيس بنت معبد بن كليب بن يربوع والحِقّةُ لقبها ، حملته سبعة أشهر[٢] ، ورأت وهى تحمله رؤيا أفزعتها ، فذهبت إلى المعبّر فقال لها : لتلدنّ ذا منطق جزل ، فكانت ترقصه بقولها :

قصصت روياى على ذاك الرجلْ	فقال لى قولا وليت لم يقلْ
لتلِدِنَّ عضلة من العضلْ	ذا منطقٍ جزلٍ إذا قال فصَلْ
مثل الحسام العَضب مامس قصلْ	يعدل ذا الميل ولما يعتدل[٣]

فحبا بين رَجز الأم ، وشاعرية الأب ، وتناشد العشيرة ، ودَرَج بين مدارج الشعر ، أذن تسمع ، ونفس تطبع .

(هـ) شبابه

شبّ بدويًّا فقيراً يرعى على أبيه غنيمات من الضأن والمعز ، ويسوق الحُمُر ، ويرى نطاح الكباش ، ورماح الحمير ، وزناء التيوس ، وهجاء القوم ، فاستمرّ مريره ، وزخر بالهجاء نشيده .

ونطق بالشعر صبيًّا ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وقارض أخاه الأكبر

---

(١) شرح « البيان والتبيين » ١ / ١٤٩ .

(٢) « المعارف » لابن قتيبة « وشرح الديوان » و « الشعر والشعراء » .

(٣) « خزانة الأدب » « وشرح الديوان » . سمته أمه جريراً – والجرير : الحبل – لأنها رأت كأنها ولدت حبلا أسود يقفز على بعض الناس فيخنقه ، ولما أولت رؤيا ها ، قيل لها تلدين شاعراً ذا شرة وقوة شكيمة وبلاء .

عَمْرًا الشعر[١] ، وهاجى غسان السليطى برجز مفحش ، طرب له قومه ، واعتزوا به ، وسارت له أبيات تمثل بها يزيد بن معاوية أمام أبيه ، فقد أثر عن جرير قوله : « وفدت إلى يزيد بن معاوية وأنا شاب ، فاستؤذن لى عليه فى جملة الشعراء ، فخرج الحاجب إلىّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يصل إلينا شاعر ولا نعرفه بشىء من شعره ، وما سمعنا لك بشىء ، فنأذن لك على بصيرة ، فقلت له : تقول لأمير المؤمنين أنا القائل :

وَإِنِّى لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى
سَرِيعٌ - إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِى - انْتِقَالِيَا[٢]

جَـرِىءُ الْجَنَانِ ، لَا أَهَابُ مِنَ الرَّدَى
إِذَا مَا جَعَلْتُ السَّيْفَ قَبْضَ بَنَانِيَا[٣]

وَلَيْسَ لِسَيْفِى فِى الْعِظَامِ بَقِيَّـةٌ
وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا[٤]

فدخل الحاجب إليه ، فأنشده الأبيات ، ثم خرج إلىّ ، وأذن لى ، وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء، فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة ، وقال لى : فارق أبى الدنيا وما يظن أن أبياتك التى توسلت بها إلىّ إلا لى[٥] .

(و) إخوته :

من إخوته عَمْرو ، وأبوالورد ، فأما أبوالورد فكان يحسد جريراً ، فذهبت لجرير إبل ، فشمت به أبو الورد ، فقال له جرير :

---

(١) « مهذب الأغانى » .
(٢) فى هذا البيت مبادئ الاشتراكية والعزة . وروى احتماليا .
(٣) روى : جعلت السيف من عن شماليا .
(٤) روى : ولا السيف . والشوى غير المقتل ذلك أن السهم يمر بين الشوى وهى القوائم
(٥) « الأغانى ومهذبه » .

أَبَا الْوَرْدِ أَبْقَى اللهُ مِنْهَا بَقِيَّةً كَفَتْ كُلَّ لَوَّام خَذُولٍ وَحَاسِدِ

وأما عمرو فكان أكبر من جرير ، وكان يقارضه الشعر ، فقال له جرير :

أَعَفْرٌ .وقَدْ كَرِهْتُ عِتَابَ عَمْرو وَقَدْ كَثُرَ المَعَاتِبُ والذُّنُوبُ

وَقَدْ صَدَّعَتْ صَخْرَةَ مَنْ رَمَاكُمْ وَقَدْ يُرْمَى بِيَ الْحَجَرُ الصَّلِيبُ

وَقَدْ قَطَع الحَدِيدَ فَلَا تُمارُوا فِرِنْدٌ لا يُفَلُّ وَلَا يَنُوبُ[١]

(ز) أزواجه :

منهن أمامة أم حكيم ونوح وبلال ، وقد ورد اسمها فى كثير من شعره ، وكان السبب فى اتصالها بجرير : أنه لما قدم العراق دخل على الحكم بن أيوب عامل الحجاج على البصرة ومدحه ، فكتب الحكم إلى الحجاج فى شأنه وقال له : إنه قدم على أعرابى باقعة لم أر مثله ، فطلبه الحجاج ، فلما دخل عليه قال له : بلغنى أنك ذو بديهة ، فقل فى هذه الجارية — وكانت قائمة على رأسه بيضاء مديدة القامة واسمها أمامة — فقال جرير[٢] :

وَدِّعْ أُمَامَةَ حَانَ مِنْك رَحِيلُ إِنَّ الْوِدَاعَ لِمَنْ تُحِبُّ قَلِيلُ

مِثْل الكَثِيبِ تَمَايَلَتْ أَعْطَافُهُ فَالرِّيحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وَتُهِيلُ

هَذِي الْقُلُوبُ صَوَادِياً تَيَّمْتِهَا وَأَرَى الشِّفَاءَ وَمَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

فقال له الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، خذها هى لك ، فضرب بيده إلى يدها ، فتمنعت عليه فقال :

---

(١) « الأغانى ومهذبه » . الفرند : السيف ويجوز أن يكون أراد : ذو فرند فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) « البيان والتبيين » و « الكامل » .

إِنْ كَانَ طَبُّكُمُ الدَّلالُ فَإِنَّهُ   حَسَنٌ دَلالُكِ يَا أُمَامَ جميلُ

فضحك الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة . وأهلها من أهل الرى وإخوتها أحرار[١] . وكانت أعجمية ذات لكنة ، فقال لها جرير : لا تتكلمى إذا كان عندنا رجال !

ومن زوجاته اللائى ورد ذكرهن فى شعره : سلمى ، وخالدة بنت سعد أم حزْرَة[٢] ، وهى التى أوجعه فراقها فبكاها بمرثيته المشهورة :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِى اسْتِعْبَارُ   وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ

وقد ذاعت أبياتها حتى بكى بها نساء العراق فقيدات الفرزدق .

ومن ذكرهن فى شعر — إقامة للوزن ، وتحلية للنسيب — : جمل ، وأسماء ، وتماضر فى قوله :

أَجَدَّ رَوَاحُ الْقَوْمِ بَلْ لَاتَ رَوَّحُوا   نَعَمْ كُلُّ مَنْ يُعْنَى بِجُمْلٍ مُبرَّحُ[٣]

ثم قال فى نفس القصيدة :

إِذَا سَايَرَتْ أَسْمَاءُ يَوْماً ظَعَائِناً   فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الظَّعَائِنِ أَمْلَحُ

ظَللنْ حوالَىْ خِدْر أَسماءَ فَانتحَى   بِأَسْمَاءَ موَّارُ المِلَاطَيْنِ أَرْوَحُ

صَحَا الْقَلْبُ عن أَسْمَا وَقَدْ برحتْ بِهِ   وَمَا كَانَ يَلْقَى مِنْ تُمَاضُرَ أَبْرَحُ[٤]

ومن تغزل بهن : هند وزينب وبوزع التى أنكر عبد الملك على جرير إيرادها فى شعره حين قال :

---

(١) « البيان والتبيين » ٢ / ١٧٠ و « الكامل » للمبرد .

(٢) « الأغانى » و « شرح الديوان » .

(٣) هذه رواية ابن رشيق فى « العمدة » ، وفى « الديوان » روى :

أجد رواح القوم أم لا تروح   نعم كل من يعنى بجمل مترح

وهى رواية جيدة . والمترح : المحزون .

(٤) « العمدة » لابن رشيق ٢ / ٩٨ الظعينة : المرأة فى الهودج . برحت به : شقت عليه الملاطان : جانبا السنام فى مرد الكتفين . الموار : كثير الحركة . الأروح الواسع ما بين القوائم .

وَتَقُولُ بوْزَعُ قَدْ دَبَبْتَ علَى الْعَصا   هَلَّا هَزِئْتِ بِغَيْرِنَا يَا بَوْزَعُ[١]

(ح) أولاده وأحفاده :

له عشرة من الولد ، فيهم ثمانية ذكور ، منهم ، حزْرَة ، وعِكْرِمة ، وسوّادَة ، وحكيم ، ونوح ، وبلال ، وموسى .

ومن أحفاده : حجناءُ بن نوح ، وعقيل بن بلال ، وعُمارة بن عقيل بن بلال ، وكان عُمارةُ هذا شاعراً مقدّماً فصيحاً هجاءً خبيثاً ، مَدّاحاً لخلفاء الدولة العباسية ، زوّاراً لأمرائها ، أخذ عنه رواة البصرة ونحاتها ، واعتمدوا قوله ، وقالوا : إن شعره أشد استواء من شعر جده جرير[٢] ، وبه ختمت الفصاحة فى شعراء المحدَثين[٣] .

وكان جرير يجلس إليهم يبصرهم بالشعر والشعراء ، حتى نشئوا جميعاً يجيدون قرض الشعر ، ويحسنون نقده . وكان يقول لهم : أطيلوا الهجاء وأقصروا الممادحة . ومما يروى أن عكرمة قال لأبيه : يا أبت : من أشعر الناس ؟ فقال : آلجاهلية تريد أم الإسلام ؟ فقال عكرمة : أخبرنى عن الجاهلية ، قال : شاعر الجاهلية زهير ، قال عكرمة : فالإسلام ؟ قال نبعة الشعر الفرزدق ، قال عكرمة : فالأخطل ؟ قال : يجيد صفة الملوك ، ويصيب نعت الخمر ، قال عكرمة : وما تركت لنفسك ؟ قال : دعنى فإنى نحرت الشعر نحراً[٤] .

ومات ابنه سوادة بالشام وكان به معجباً ، فرثاه بأبيات رواها بشار بن برد فى حوار له مع ابن سلام ، ومنها :

---

(١) وتأييداً لهذا الإنكار أوردها شاعر النيل حافظ إبراهم فى شعره وضمنها قصيدته فى مهرجان شوقى حيث قال يخاطبه :

وقفنا على النهج القويم فإننا   سلكنا طريقاً للهدى غير مهيع

ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة   بهند ودعد والرباب وبوزع

(٢) « شرح البيان والتبيين » ٣ / ٢٠ .

(٣) « تاريخ آداب العرب » لمصطفى صادق الرافعى .

(٤) « مهذب الأغانى » ٥ / ٦٧ « والعمدة » ١ / ٦١ .

فَارَقْتَنى حِين كَف الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى   وَحِين صِرْتُ كَعَظْمِ الرِّمَّةِ البالِى
أَمسى سَوَادَةُ يجلو مُقْلَتَىْ لَحِم   بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبَأ العَالِى[١]

ومن بناته أم مِسْحَل زيداء ، وقد تزوجت من كُسيْب من بنى الخطفى ، وابنها مسحل روى كثيراً من شعر جرير وأخباره [٢] .

(ط) أسرة كلها شعراء :

من بيوتات الشعر فى الإسلام بيت جرير ، كان هو وأبوه عطية ، وجده الخطفى شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء .

قال أبو زياد الكلابى : رأيت باليمامة نوحاً وبلالا ابنىْ جرير ، وهما يتسايران ، ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم ، وأشعر من باليمامة يومئذ حجناء بن نوح ابن جرير . وكان عقيل بن بلال شاعراً ، وعمارة ابنه شاعراً أدرك الطائى حبيباً ولقيه المبرد [٣] .

(ى) اتصاله بالخلفاء والأمراء :

دفعت الظروف الاقتصادية الشعراء إلى أن يقصدوا الخلفاء والأمراء وذوى اليسار يمدحونهم ، ويغترفون من بحور عطاياهم ، وأمدّ لهم الأمويون فى ذلك ، تعزيزاً لمآربهم السياسية ، إذ كان السخاء فى بذل العطاء إحدى وسائلهم فى استلال السخائم من نفوس الأعداء ، وقطع ألسنة الشعراء .

وأول خليفة وفد عليه جرير فى صدر شبابه ، ونال جائزته يزيد بن معاوية ، وكان اتصاله بالحكم بن أيوب عامل الحجاج على البصرة سبيلاً إلى اتصاله بالحجاج بن يوسف الثقفى ، الذى قربه منه ، واتخذه شاعراً رسمياً يمدحه ،

---

(١) « الأغانى ومهذبه » .

(٢) « ديوان النقائض » .

(٣) « العمدة » ٢ / ٢٣٦ .

ويوضح منهاج سياسته الحازمة .

إنَّ ابنَ يوسُفَ فاعلموا وتيقَّنوا   ماضى البصيرةِ واضِح المنهاجِ

ويصْغيّ عبد الملك إلى شعره ، فيغبط الحجاج عليه ، ويتمنى أن لو صار إليه ، ويعرف الحجاج ذلك فيه ، كما يعرف أنه يكره لقاءه لزبيريته فى ماضى أيامه، فأنفذ معه ابنه محمد بن الحجاج ، فاستقبله عبد الملك بعد عناء ، وعاتبه قائلا : ماذا عسى أن تقول فينا بعد قولك بالحجاج عاملنا :

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْهِمُ   أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَة الْحَجَّاجِ

إن الله لم ينصرنا بالحجاج ، وإنما نصر دينه وخليفته ، وظهر الغضب فى وجه عبد الملك فتوسط ابن الحجاج فى الرضا ، وأنشد جرير قصيدته حتى بلغ قوله :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ منْ رَكِبَ الْمَطَايَا   وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطونَ رَاح

فتبسم عبد الملك وقال : كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ، وأمر له بمائة لقحة ، وثمانية من الرعاء [1] . ومن ذلك الحين وهو يتشيع لعبد الملك وأبنائه ، فمدح الوليد وسليمان ويزيد .

وله اتصالات ببشر بن مروان أخى عبد الملك ، وبولاة ابن الزبير ، ومنهم الحارث بن أبى ربيعة المخزومى والى البصرة ، المعروف بالقُبَاع .

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يأذن للشعراء ، ولا يرى لهم حقاً من العطاء ، وفد عليه ورأى عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يدخل على الخليفة ، وعليه عمامة قد أرخى طرفيها ، فصاح به :

يـأَيُّها الْقَارِئُ المُرْخى عِمَامَتَه   هَذا زمَانُك إنِّى قدْ مَضَى زَمَنِى

---

(١) « تاريخ آداب اللغة العربية » .

أَبلِغْ خَلِيفَتَنَا إِنْ كنْتَ لاقِيَهُ ... أَنِّى لَدَى الْبابِ كالْمَصْفُودِفى قَرَنِ

فدخل وأنشد قصيدة منها :

إِنَّا لنَرْجُو إِذا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنا ... مِنَ الْخَلِيفةِ ما نَرْجُو مِنَ الْمَطر

فأعجب عمر بها ، واعتذر ولم يعطه ، ولما ألح جرير قال بنو أمية : مهلا يا أبا حزْرة ونحن نرضيك ، وجمعوا له مالاً كثيراً ، فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر [١] واتصل بكثير غير هؤلاء ، وله مع هشام بن عبد الملك آخر خليفة اتصل به مواقف معروفة .

(ك) صفاته :

كان يخنخن فى لفظه ، فيخرج الكلام من أنفه أو كأن فيه نوناً [٢] ، وكان مديد القامة ، قوى البنية ، جميل الشعر ، ديِّنا عفيفاً ، يذكر الله كثيراً ، ويسبحه بكرة وأصيلاً . بصر به الفرزدق محرماً فقال : والله لأفسدن على ابن المراغة حجه ، ثم جاءه مستقبلاً له ، فغمزَهُ بمشقص [٣] كان معه ، وقال :

فَإِنَّك لَاقٍ بِالْمشَاعِرِ مِنْ مِنًى ... فَخَارًا فَخَبِّرْنى بِمَنْ أَنْتَ فَاخِرُ

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك ، ولم يجبه [٤] .

ومرت به جنازة فبكى وقال : أحرقتنى هذه الجنازة . قيل : فلم تقذف المحْصَنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبر [٥] .

---

(١) « الأغانى ومهذبه » .
(٢) « تاريخ آداب اللغة العربية » .
(٣) غمزه : جسه . المشقص : نصل عريض أو سهم فيه ذلك أو نصل طويل أو سهم فيه ذلك .
(٤) « البيان » و « الأغانى » .
(٥) المرجع السابق .

وهو ذو بديهة وسرعة خاطر : أثر عن عدىّ بن الرقاع أنه أنشد فى صفة الظبية وولدها :

تُزْجِى أَغَنَّ كأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِه . . . .

ثم غفل عنه الممدوح فسكت . فقال الفرزدق لجرير — وكانا حاضرين — ما تراه يقول ؟ فقال يقول : . . . قلم أصاب من الدواة مدادها .

وأقبل عليه الممدوح ، فأنشد كما قال جرير ولم يغادر حرفا [١] .

وعرف باعتزازه بنفسه، واعتداده بشعره ، فكان يقول : « إنى لمدينة الشعر التى منها يخرج وإليها يعود » .

وأَدْرَكْتُ مَنْ قد كانَ قَبْلِى ولم أَدَعْ ... لِمَنْ كانَ بَعْدِى فى القَصَائِدِ مَصْنَعَا

(ل) أيامه الأخيرة :

أتاه فى آخر أيامه نبأ وفاة الفرزدق ، فحزن عليه حزناً شديداً ، ورثاه بأبيات مختلفة منها [٢] .

فُجِعْنَا بِحَمَّال الدِّياتِ ابنِ غالبِ ... وحَامِى تَمِيم عِرْضِهَا والمُرَاجِم [٣]

بَكَيْناكَ حِدْثانَ الفِراقِ وإنَّما ... بَكَيْناكَ شَجْوًا لِلْأُمُور الْعَظَائِم

فلا حمَلَتْ بعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهيرَةٌ ... ولا شُدَّ أَنْسَاعُ المَطِىِّ الرَّواسِمِ [٤]

روى أن راكباً دنا منه ، فقال له جرير : من أين وضح الراكب ؟ قال : من العراق قال : فهل كان من حدث ؟ قال : لا ، إلا أنى يوم شخصت رأيت

---

(١) « العمدة » .

(٢) « الأغانى » و « تاريخ آداب اللغة العربية » و « الديوان » .

(٣) المراجم : المناضل .

(٣) المهيرة . الحرة . والنسع : سير من جلد تشد به الرحال . والرواسم : النوق من رسمت الناقة إذا أثرت فى الأرض .

جنازة ، وسمعت الناس يقولون : هذا النعش نعش الفرزدق . فقال جرير :

هلك الفرزدق بعد ما جدَّعْتُه ليت الفرزدق كانَ عاشَ قليلا

ثم بكى ، ودمعت عيناه ، فقال القوم : سبحان الله يا أبا حزرة ما يبكيك ؟ قال : بكيت لنفسي ، والله إن بقائي خلافه لقليل ، إنه قلما كان اثنان قرينان أو مصطحبان أو زوجان إلاّ كان أمدُ بينهما قريباً [١] .

وفي علته التي مات فيها كثر عوّاده [٢] من وجوه الناس ، وعاده نفر من قيس ومن سائر قريش فالتفت إليهم وقال :

أَهْلًا وَسَهْلاً بِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسَبِي وَإِنْ مَرِضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعُوَّادِي

إِنْ تَجْرِ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فيه عَافِيَـةٌ أَوْ بالْفِرَاقِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ زَادِي

لَوْ أَنَّ لَيْثاً أَبَا شِبْلَيْنِ أَوْعَدَنِي لَمْ يُسْلِمُونِي لِلَيْثِ الْغَابَةِ الْعَادِي [٣]

وتوفي سنة ١١٠ هـ بعد الفرزدق ببضعة أشهر بعد أن عُمِّر ثمانين سنة ونيِّف ، ودفن باليمامة حيث قبر الأعشى [٤] .

---

(١) « النقائض » و « الأغاني » . البين : الفراق .

(٢) العواد : زوار المريض .

(٣) « مهذب الأغاني » .

(٤) « تاريخ آداب اللغة العربية » و « الشعر والشعراء » .

الفصل الثالث

جوانبُ جريـر

١ – الشاعر السياسى

ما كاد جرير يلقى بنفسه فى تيارات السياسة حتّى قذفت به فى يمّ أشبه ما يكون بالنفاق السياسى ، حين قادته ظروف الحزبية وأهواؤها نحو هوى الزبيريين فى الوقت الذى يشايع فيه الأمويين : فقد مالت قيس مع ابن الزبير ، تؤازر من يؤازرونه فى موقعة مرج راهط ، وكذلك كان ميل جرير مع قبيلته بنى يربوع الذين حاربوا فيما بعد فى صفوف مصعب بن الزبير ، ورثى جرير قتلاهم [١] ، وبذلك قرّبت الحوادث يربوعاً وشاعرها جريراً من قيس ، منذ غلب ابن الزبير على العراق ، فجعلتهم صفًّا واحداً ، كما صنعت الحوادث عداوة لهؤلاء من الفرزدق وقومه ، فقومه هم الذين غدروا بالزبير ، وقتلوه بعد وقعة الجمل ، كما خاصمته زوجه النوار إلى ابن الزبير فى مكة ولم ينصره عليها . ومن ثم نفهم زبيرية جرير التى دفعته إليها الحوادث دفعاً ، فاتخذ منها مادة يرمى بها غريمه الفرزدق وقومه بالغدر بالزبير وقتله :

قتِلَ الزّبيرُ وأَنت عاقدُ حُبْوَةٍ　　قُبْحاً لِحُبْوَتِكَ التى لم تُحْلَلِ
وَافَاكَ غَدْرُكَ بالزُّبَير على مِنًى　　ومَجَرُّ جِعْثِنِكُمْ بِذات الحرْمَلِ [٢]

كما ندرك السر الذى من أجله ألب بشر بن مروان الشعراء على جرير [٣] ، وقد خلا ديوانه من الاعتداد بهذه الزبيرية إلاّ ما ندر من الأبيات كقوله يفخر بقومه الذين ذادوا عن المنبر الشرقى أيام فتنة البصرة [٤] ، وعن الكعبة مناصرة لابن الزبير :

---

(١) « أنساب الأشراف » .
(٢) « الديوان » .
(٣) و(٤) « الأغانى » و« النقائض » .

عَنِ المنبرِ الشرقيِّ ذَادت رِماحنـــا   وعن حُرمة الأَركان يُرْمَى حطِيمُها

ولن نبعد عن الصواب إذا قلنا : إن جريراً لم يكن عريقاً فى زبيريته التى لم تتضح فى شعره وضوح أمويته .

فلما تمّ القضاء على ابن الزبير وأنصاره خلص للأمويين خلوصاً تامًّا ، فكان شاعرهم الأول بالبصرة ، يمدحهم ، ويمدح ولاتهم ، ويسرف فى هذا المدح ، ويغلو فى بيان نظريتهم فى الخلافة وأحقيتهم بها ، ويشيد بسياسة ولاتهم ويؤيدها ، ولا سيما سياسة الحجاج ، ولعله قبل إيغاله فى أمويته كان يسائل نفسه : أليس من الأجدر به أن يتعلق بالأمويين ، ليرفع بعزهم ضعة عشيرته ، ويردّ بفيضهم عادية فقره ، ويأمن بنصرهم مكر أعدائه ، ويتقى بتأييدهم نكر بطشهم ، ثم أليس من حق الكثرة الغالبة ، ومن حقه على هذه الكثرة وهو شاعرها الذى تتحلق حوله بالمِرْبَد[1] تهلل له وتنصره على معارضيه ، أن يساير هواها فى معاضدة حزب الدولة الغالب بكثرته . ؟

لقد استجاب لنفسه حين دعته إلى ذلك ، واستجاب لعوامل الرغبة والرهبة فسلك سبيل المؤيدين ، وذهب مذهبهم يشيد بذكر الأمويين ، ويدعو إلى نصرة مبادئهم التى تدعو إلى تقديس الدولة ، واتخاذها عقيدة تقوم على أن الله اصطفى الخلفاء ، وخصهم بالكرامة ، وفضلهم على سائر الأمة الإسلامية ، فهم الأئمة الهادون المهديون الذين تجب على المسلمين طاعتهم ، ومن عصاهم أو خرج عليهم ، يعدّ مبتدعاً فى الدين يصد عن سبيل الله ، ويفتح للشيطان سبيل الضلال .

وقد اعتمد فى تأييد نظرية الخلافة الأموية على المذاهب العقلية السائدة فى

---

(١) المربد : سوق من أسواق العرب بالبصرة . والمعنى اللغوى للمربد : كل شىء حبست به الإبل والغنم ، ولهذا قيل مربد النعم الذى بالمدينة ، وبه سمى مربد البصرة . وأصله من ربد بالمكان إذا أقام به .

عصره ، كقوله لعبد الملك :

اللهُ طَوَّقَكَ الخلافَة والهدى والله ليس لِمَا قضى تبديلُ

يشير إلى فكرة المهدى ، وإلى مذهب الجبرية ، فالله قد قضى لعبد الملك بالإمامة ، ولا رادّ لقضاء الله وقدره ، وشبيه بهذا قوله فى يزيد بن عبد الملك :

زان المنابر واختالت بمنتجَب مُثَبَّتٍ بكتابِ الله منصورِ[1]

وقوله فى عمر بن عبد العزيز :

نال الخلافة إذ كانت له قَدَرًا كما أَتى ربَّه موسى على قَدَرِ

وقوله فى هشام بن عبد الملك :

إلى المَهْدِىِّ نفزعُ إن فَزعْنا ونستسقى بِغُرَّتِهِ الغَماما[2]

رَضِينا بالخلافةِ حينَ كنا لَهُ تبعاً وكان لنا إماما

ومن قوله يعرّض بخصومهم الضالين :

آل الْمُهلبِ فرَّطُوا فى دينهم وطَغَوْا كما فعلت ثمودُ فبَارُوا[3]

ولا ينى عن مناصرة ولاة بنى أمية ، كقوله من قصيدة يؤيد فيها سياسة الحجاج ، ويبرر جبروته وبطشه بالمشاغبين ، ومحاربته للرشا والفساد :

لقد جرَّدَ الحجّاجُ بالحقِّ سيفَه لكم فاستقيموا لا يميلَنَّ مائلُ

وكم مدحة عَمرتْ بشعره السياسى ، تأييداً للحكم الأموى ، وتعريضاً بالمعارضين ،

---

(١) منتجب : مختار .
(٢) فزع إليه : التجأ .
(٣) باروا : هلكوا .

غير أنه لم يتعرّض لسبّ غير الأمويين من قريش المطالبين بالخلافة ، إرضاء لمذهبه من مراضاة الناس .

وله مع أولياء العهد جولات كادت تذهب فيها نفسه ، كان ذلك حين حبب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك أن يصرف ولاية العهد عن أخيه سليمان إلى ابنه عبد العزيز ، وخاض جرير معه غمار هذه السياسة ، وهتف بها فى بعض قصائده ، ثم أعجلت الحجاج منيته عن إتمام سياسته ، ولحق به الوليد ، فأسقط فى يد جرير ، ولم ينجه من كبوته غير حسن حظ واتاه فى ساعة العسرة ، حين ثار أحد رؤساء بنى يربوع قوم جرير فى خراسان بقتيبة بن مسلم فقتله ، وكان ممالئاً للحجاج فى هذه السياسة ، فأرضى ذلك سليمان عن يربوع عامة ، وعفا عن شاعرهم جرير .

وكثيراً ما استجاب لرغبة الخلفاء الذين أرادوا تحويل ولاية العهد لأبنائهم : صنع ذلك مع عبد الملك حين صرفها عن أخيه عبد العزيز إلى ابنه الوليد ، ولما أرادها سليمان لابنه أيوب جاراه جرير فقال :

إنَّ الإمام الذى تُرْجَى نوافلُه   بعد الإمامِ ولىُّ العهدِ أَيُّوبُ

وهكذا كان جرير لسان حال الأمويين ، يصفح عما ينتوون من أمر ، ويصممون من عزم ، أو هو صحيفتهم السيارة تنشر دعوتهم ، بل إنه كان مذيعاً لمبادئهم ومآثرهم ، يوجه إذاعاته من المِرْبَد والكُناسة[1] ، ومن بوادى البصرة وقصر الخلافة ، فيلتقطها العرب ، ويذيعونها فى سائر البقاع ، فتستولى على الأسماع ، وتحدث أثرها فى النفوس .

---

(١) الكُناسة : موضع بالكوفة .

٢ – الشاعر الغنائى

(ا) طريقته :

كان ذا بديهة حاضرة ساعدته على ارتجال بعض أشعاره . ومن طرق قرضه للشعر أنه إذا أراد أن يؤبد قصيدة، أنشأها ليلاً، يشعل سراجه ويعتزل ، وربما علا السطح وحده فاضطجع ، وغطى رأسه رغبة فى الخلوة بنفسه ، وقد صنع مثل ذلك فى قصيدته التى أخزى بها بنى نمير ، إذ سهر لها وطالت ليلته إلى أن قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلاَبَا

فأطفأ سراجه ونام ، وقال : قد والله أخزيتهم [١] .

وكان يقصر الممادحة ويطيل الهجاء على خلاف مذهب الشعراء ، ويقول لبنيه : إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة ، وإذا هجوتم فخالفوا . ويقول : إذا هجوت فأضحك [٢] . وكان قليل التنقيح لألفاظه [٣] ، ولا يتكلم حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قذف المحصنات [٤] ، وكثيراً ما يستحث قريحته بشرب النبيذ ، ويتمرغ فى الرمل أو على الفراش ، ويهمهم، ويحبو على الفراش عريان حتى يخاله الناظر إليه أصيب بجنة [٥] وحين قال له الفرزدق :

إنى أَنَا الْمَوْتُ الَّذِى هُوَ ذَاهِبٌ   بنَفْسِكَ فَانْظُر كَيْف أَنْتَ مُحَاولُهُ

---

(١) « العمدة » ١ / ٢٦ و ١٣٨ .

(٢) « العمدة ٢ / ١٤٠ .

(٣) « العمدة »

(٤) « البيان والتبيين » .

(٥) « تاريخ آداب اللغة العربية » .

وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه ، لبث جرير يتمرغ فى الرمضاء ويقول : أنا أبو حَزْرة حتى قال :

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِى الْموْتَ والدَّهْرُ خَالِدٌ فَجِئْنى بمِثْلِ الدَّهْر شَيْئاً يُطَاوِلُه

فغلبه وطلق عليه زوجه .

(ب) صياغة شعره :

صاغ الشعر مبكراً ، متأثراً ببيئته الشعرية ، والسياسية والاجتماعية ، مستجيباً للتجارب النفسية ، والإثارات الوجدانية ، مستلهماً سليقة فياضة ، وطبعاً دُفاقاً ، يرسل القصيد متى شاء ، ويصرفه كيف يشاء ، سهلاً عذباً ، فخماً جزلاً ، قوياً رصيناً ، محكم القافية ، خالياً من التكلف والحشو والتعقيد ، تتسق قوافيه ، وتأتلف ألفاظه ومعانيه ، فكأنما يغترف من خضمّ البحر ، ويصب فى معين الشعر ، ما تطرب له نفسه ، ويعجب به غيره ، من عامة القوم وخاصتهم ، فجرى على الألسنة ، وسرى بين الربوع ، يرفع الوضيع ، ويضع الرفيع ، ويفحم الشعراء ، ويلجم البلغاء .

وجرير كغيره من الشعراء الإسلاميين ، تتمثل فى ألفاظه ومعانيه الحياة البدوية الإسلامية أصدق تمثيل ، لأنه لم يكن قد تأثر بعلوم الفرس واليونان والهنود كما تأثر المحدثون من بعد ، بل كان معينه البيئة البدوية ، وما زخرت به الحياة الإسلامية الجديدة من آداب وتشريع وحكمة ، وما مزجت به نفسه من تدين وعفة ، وشاعرية مطبوعة ، فكانت معانيه قريبة فطرية ، سهلة الورود على الخاطر ، مصبوبة فى قوالب محكمة من جزالة اللفظ ، وفحولة العبارة ، وسلامة الوزن ، وحلاوة النبر ، مما ينساب إلى الأسماع فى خفة ورفق ، فتستريح إليه النفوس .

(ج) فنون شعره :

بذّ جرير الفحول فى الهجاء والغزل والرثاء ، وأكثر المديح ، ولكنه لم يسبق الأخطل فيه ، وأجاد الفخر والحماسة ، غير أن الفرزدق فيهما أشعر منه ؛ وله متفرقات لا تبلغ ما بلغته الفنون السابقة من الجودة والكثرة ، وأغلبها جاء منبثًّا فى ثنايا قصائده ، كالوصف والعتاب والشكوى . وكثير من قصائده ولا سيما ما كان منها مدحاً أو هجاء تنهج النهج الجاهلي : من الابتداء بذكر الديار والبين ، والحنين والحبيب ، فى غزل رقيق ، يُعدّ به للقول نفسه ، ويَجذب إليه غيره ، ثم يصف رحلته وراحلته وما أصابه من نصب ، وما اعتور ناقته من كلال وهزال ، فى سبيل الوصول إلى من يقصد ، ثم يتخلص من هذا إلى التصريح بصفات الممدوح ، والتلميح بحاجته ، وقد يتعرض لهجاء الأعداء ، وربما افتخر بنفسه وقومه ، وفى تضاعيف ذلك يرسل الحكمة ، ويضرب الأمثال . وفيما يلى تفصيل لأهم أغراض شعره :

١ — النسيب والغزل :

بدأ به أكثر قصائده مقلداً الجاهليين ، وسلك فيه طريقتهم من التصون والتجمل ، فوصف زوجاته بقسامة الوجه ، وملاحة القد ، وطيب الحديث والرائحة ، وذكر الديار والدمن وفراق الأحبة ، وخوالج النفس بعبارة فخمة عذبة ، عامرة باللفظ الجزل ، والمعنى الشريف ، ولم يذهب مذهب معاصريه الغزليين بالحجاز ، فلم يتبذل فى عشقه ، وعزف عن التأنث فى الغزل ، ومحاكاة النساء فى حديثهن وتدللهن وحوارهن ودعابتهن ، وقصّ القصص عنهن ، ولم يتهالك فيه تهالك القيان ومجّان الموالى والمغنين ، وامتاز بالرقة ، وخفة الوقع على السمع ، وقوة أسره للنفس ، وحوْكه فى القلب ، مع أنه لم يصدر منه عن وجد وهيام ، ولو عشِق ولم يمعن فى الهجاء ، لكان إمام الشعراء العشّاق ، وفى ذلك يقول : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز ، فتبكى على ما فات من

شبابها . ويمكننا أن نعلل تفوقه فى النسيب وتوفيقه مع عزوفه عن النساء برقة طبعه وفطرته الإنسانية الصادقة الشعور ، وتدينه وعفته ، وكان يعتمد على النسيب كفن موسيقى رفيع ، حلو النبر ، طويل النفس ، مطرد الخيال ، خصيب الوجدان ، يفتتح به مقطوعاته ، ويرضى نفسه ، ويعدها للقول ، ويطرب غيره ، ويستلب منه السمع ، فهو بلا ريب أستاذ النسيب العربى الذى تفتتح به القصائد ، فسبق صاحبيه فيه ، وتتلمذ عليه البحترى ، ومن عيون غزله :

إنَّ الْعُيونَ التى فى طَرْفِهَا حَــوَرٌ   قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلاَنَا
يصْرَعْنَ ذَا اللُّب حتى لا حَرَاكَ بِه   وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ إِنْسانَا

٢ – الرثاء :

ثالث ثلاثة الفنون الشعرية التى سبق فيها زميليه ، وحق له أن يسبق فيها ، فقد اطمأنت نفسه إليها ، وأجابها إلى ما تطمئن إليه ، ولنفسيته أبعد الأثر فى شعره ، فقد مضت به ، تتفقد أمجاد عشيرته ، فلم تجد ما تصبو إليه ، وانطلقت به تفتش عن ثراء أبيه ، فلم تعثر على ما يحقق الأمل ، ويحيى الرجاء ، فآوت معه إلى حظيرة الدين ، تتعلق بأهداب الحياة الإسلامية ، وتخلص التنسك لله ، فأفاض عليها طهارة وعزة ، وصفاء وعفة ، وتمتع جرير بنفسية صافية ، تسمو بدينها ، وقد تأسى على ما فاتها من دنياها ، إلى جانب طبع رقيق ، وعاطفة مشبوبة ، وسليقة موهوبة ، فسبق فيما سبق فيه ، واستجابت نفسه للشعر العاطفى واستبد بها الأسى عند النوازل ، فأثار حزنها الكمين ، وفاضت مراثيه بالأنين ، فى دقة ولين ، ورنين حزين ، ينفذ إلى القلوب الواجدة ، فتجد فى أبياته صدًى لأساها ، ورفيقاً يواسيها ، ولهذا كان شعره الباكى مع قلته أكثر ذيوعاً بين الناس ، يناح به نوحاً على الأموات والقتلى وحين رثى ز وجه خالدة بمرثيته :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِى اسْتِعْبَارُ   ولَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالْحَبيبُ يُزَارُ

تناقلها الرواة ، وبكى بها الباكون ، حتى إن قوم الفرزدق بكوا بها على هوالكه ، وسماها جرير الجوْساء [١] ، لذهابها بين البلاد .

قال بشار لابن سلام : كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار ، فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ، ثم سأله ابن سلام : وأى شيء من المراثى إلا التى رثى بها امرأته ؟ فأنشده لجرير يرثى ابنه سوادة ، ومات بالشام ، وكان به معجباً [٢] .

فَارَقْتَنِى حِينَ كفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِى　　　وَحِينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرُّمَّةِ الْبَالِى

٣ — الفخر والحماسة :

لما كانت الحماسة هى فن الحمية والقوة والتسامى ، فقد آثرنا أن نقرنها بالفخر لما بينهما من وثيق الصلة وشدة التقارب ، مقتفين أثر جرير الذى آخى بينهما فى شعره .

لقد استطاع أن يفخر باستقامته ، وشهامته ، وصولة شعره ، وسيرورته .

وَأَدْرَكتُ مَنْ قَدْ كانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدَعْ　　　لِمَنْ كانَ بَعْدِى فى الْقَصَائِدِ مَصْنَعَا

ولكنه لم يستطع الفخر بعشيرته من كليب ومنهم أبوه عطية ، لخمول شأنهم فى الغابر والحاضر ، ورقة حالهم ، ودناءة شحهم ، مما دعاه إلى التماس الفخر فى قبيلته العليا بنى يربوع ، ففاخر بشرفهم وبسالتهم ، وعلو كعبهم فى الجاهلية والإسلام ، وكثيراً ما عيره خصومه بمفاخرته بغير أهل بيته الأدنين ، وكان هذا من أشد الهجاء عليه ، غير أن روعة قصائده غطت على ضعة أبيه وهوانه وبخله .

وقد وجد فى تميم — التى يجتمع مع الفرزدق فى الانتساب إليها — مآثر شتى وفى قيس عيلان حليفته مواقفها ووقائعها ، وفى خندف ومضر وقريش مفاخرها وأحسابها وأنسابها ، وفى الخلافة والنبوة صلة يعتز بها :

---

(١) من جاس جوساً وجوساناً بين البيوت والدور : تردد وطاف بينها فى الغارة .
(٢) « الأغانى وتهذيبه » .

مُضَرٌ أَبِى وَأَبُو الْمُلُوكِ فَهَلْ لَكُمْ ... يَا خُزْر تَغلبَ مِنْ أَبٍ كَأَبِينَا[1]
هَذَا ابْنُ عمِّى فى دِمَشْقَ خَلِيفَةً ... لَوْ شِئْتُ سَاقَكُمُ إِلَىَّ قَطِينَا[2]

ومن أبياته السائرة فى الفخر :

إذا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ... حسِبْتَ النَّاسَ كلَّهُمُ غِضَابَا

وأشاد فى حماسته بمواقف القتال ، وضروب الشجاعة ، وأمجاد السيادة كقوله :

أَلا رُبَّ جَبَّارٍ عَليْهِ مَهَـابَةٌ ... سَقَيْنَاهُ كَأْس الْمَوْتِ حتى تَضَلَّعَا

٤ – أماديحه :

بدأ جرير أماديحه بالنسيب مقلداً شعراء الجاهلية ، واستمدّ معانيه الجديدة المتنوعة من الحياة الإسلامية ، والعناصر الدينية ، فوصف الخلفاء بالعدل والأمانة وإقامة الحدود والفرائض ، والاهتداء بالكتاب والسنة ، وعصيان داعى الهوى ، واستعان فى الدفاع عنهم بالمذاهب العقلية السائدة فى عصره ، وقد سبق القول فى هذا ، وفى اتصاله بالخلفاء والولاة . ولم يطل المديح إطالته فى الهجاء ، مع غرامه بتوليد المعانى ، واستقصاء صفات الممدوح ، وقلما يخلطه بفخر أو هجو ، أو تعرض للهاشميين مراضاة للناس ، وهذا الفن هو الذى دمغه بالنفعية ، فقد اتخذه وسيلة للتكسب والاستجداء فى حذق وكياسة ، وقد جرّه إلى هذا فقره ، ورغبة الخلفاء فى استمالة الشعراء ، بإجزال العطاء ، ليمكنوا لهم فى الأرض .

وتناول مدحه الخلفاء والأمراء والولاة ومنهم الحجاج ، والقيسية أعداء تميم فى الجاهلية والإسلام ، كما مدح ذوى اليسار والموالى من العجم وسوّاهم بالعرب فى الشرف ، فأغدقوا عليه الهبات ، وحفظوا شعره ورووه ، وتباهوا به ، وقد سبقه

---

(١) خزر : ضيقو العيون . والمراد بخزر تغلب : خنازير تغلب .

(٢) القطين : الخدم والأتباع . وحين سمع عبد الملك هذا البيت قال : مازاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطياً ، أما إنه لو قال : « لو شاء ساقكم إلى قطينا » لسقتهم إليه كما قال .

الأخطل فى كثير من نواحى المديح ، لتفرغه للخلفاء ، كما سبقه فى الفخر الفرزدق ، لعراقة أصله ، ولحاجة هذين الفنين إلى فخامة وضخامة وصلابة ، لم توات جريراً كما واتت صاحبيه ، ولم يمدح ليرضى قلبه ، بل ليسعف جيبه ، وكان يسترسل مع هواه فى نسيب طويل ، فلا يصل إلى المديح إلا وقد استفرغ جهده ، فيأتى بأبيات قليلة لا تبلغ فى جودتها ، ما بلغته فنونه الأخرى إلا ما ندر من مدحاته المشهورة ، التى مدح بها أفذاذ الرجال وأعلام الأدب كالحجاج ، وعبد الملك الذى يقول فيه :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

٣ ـ الشاعر الهجَّاء

(ا) التحامه بالشعراء :

اشتدت الملاحاة بينه وبين كثير من الشعراء ، فأفحمهم جميعاً ، وسقطوا ، ولم يثبت له غير الفرزدق والأخطل ، ثم مات الأخطل ، فبقى والفرزدق فى عراك شعرى عنيف إلى أن وافاه نبأ وفاة الفرزدق سنة ١١٠ هجرية .

قال الأصمعى : إن جريراً كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ، ويرمى بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان ينفخه فيرمى به ، وثبت له الفرزدق والأخطل .

وأول من التحم بهم من الشعراء ، غسان السَّليطى ، حين اختلف بنو جُحَيش مع بنى الخطفى ـ وكلاهما من يربوع ـ فى غدير بالقاع ، فاستعان بنو جحيش بغسان ، فهجا بنى الخطفى والناس مجتمعون عليه ، ورآه جرير وكان يرعى غنم أبيه ، فركب بعيراً وأقبل وقد حمى فنطق بالشعر رَجزاً هجا به غسان ومن معه أفحش هجاء ، فاعتزّ به قومه ، وتمادى الهجاء بينهما حتى قال غسان :

لَعَمْرى لَئِنْ كانَتْ بَجِيلَةُ زَانَها جَرِيرٌ فَقَدْ أَخْزَى كُلَيْباً جَرِيرُها

فأجابه جرير بقصيدته :

أَلا بكَرَتْ سلْمى فجَدَّ بُكُورُها وَشَق الْعصَا بَعْدَ اجْتِماعٍ أَميرُها

وتدخل بينهما « العنَّاب » أعورُ بنى نبهان ، فقال يهجو جريراً :

وأَنْتَ كلَيْبيٌّ لِكَلْبٍ وَكَلْبَة لَهَا عِنْد أَطْنَابِ الْبُيُوت هَرِيرُ

فقال جرير يردّ عليه :

وَجَدْنا بَنِى نَبْهَانَ أَذْنابَ طَيِّءٍ وَلِلنَّاسِ أَذْنابٌ تُرَى وَصُدُورُ
وَأَعْوَرُ مِنْ نَبْهَانَ أَمَّا نهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ

ولما سقط غسان وصاحبه ، أعانه البعيث من بنى مجاشع قوم الفرزدق من تميم ، فهجاه جرير وسبّ نساء مجاشع سبًّا منكراً ، وكان الفرزدق قد قيد نفسه حتى يحفظ القرآن ، وعاهد الله ألا يهجو أحداً أبداً ، فجاءته نساء بنى مجاشع وقلن له : قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نسائك ، فلحيتَ شاعر قوم، فأحفظنهُ . ففضّ قيده وقال :

أَلا اسْتَهْزَأَتْ مِنِّى هُنَيْدَةُ أَنْ رَأَتْ أَسِيرًا يُدَانى خَطْوَهُ حَلَقُ الحِجْلِ[١]

ودافع عن قومه فى وجه جرير ، فهجاه وهجا البعيث فى قصيدته .

عُوجِى علينا وارْبَعِى ربّةَ البَغْلِ وَلَا تَقْتُلِينى لايَحِلُّ لَكُمْ قَتْلى

ولم تكن للفرزدق رغبة فى الالتحام بجرير ، ولكن البعيث جرّه إلى المعركة فكان يهجو جريراً ويهجو البعيث معه فى مثل قصيدته :

أَلَمْ تَرَ أَنِّى يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فَنَادتْنى هُنَيْدَةُ مالِيَا

---

(١) هنيدة : عمة الفرزدق . الحجل : القيد .

فأجابه جرير بقصيدته الرائعة :

أَلا حيِّ رَهْبَىٍّ ثم حَىِّ المَطَـــالِيَا فَقَدْ كانَ مَأْنوساً فَأَصْبَحَ خَالِيَا

وما فتئا يتهاجيان ، ولا يلتفتان إلى البعيث ، فسقط بينهما .

ولما بلغ الأخطل تهاجى جرير والفرزدق قال لابنه مالك : انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما ، فتأتيني بخبرهما . فانحدر مالك حتى لقيهما ، واستمع منهما ثم لقى أباه فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر ، فقال الأخطل : الذى يغرف من بحر أشعر ؛ ثم قال :

إنى قَضَيْتُ قَضَاءً غَيْرَ ذِى جَنَفٍ لَمَّا سَمِعْتُ وَلَمَّا جَاءَنِى الْخَبَرُ
إن الفَرَزْدَقَ قد شَالَتْ نَعَامَتُهُ وعَضَّـــهُ حَيَّةٌ منْ قَوْمِهِ ذَكَرُ

وحين علم بشر بن مروان والى الكوفة بقدوم الأخطل عليه أرسل إليه محمد ابن عمير بن عطارد المجاشعى ، ليرشوه بألف درهم وبغلة وكسوة وخمر ، ويقول له : لا تعنْ على شاعرنا ، واهج جريراً ، فإنك قد قضيت له على صاحبنا ، فقل له أبياتاً تقضى بها لصاحبنا عليه ، فأنشد الأخطل أبياتاً منها :

اخْسَأْ إليك كليب إنّ مُجَاشِعا وَأَبا الفَوَارِسِ نَهْشلا أَخَوَانِ
وَإِذا سَمِعْتَ بِدارِمٍ قدْ أَقبَلُوا فاهرُبْ إليكَ مخافَةَ الطوفانِ

فناقضه جرير بقصيدته :

لِمَنِ الديارُ ببُرْقَةِ الرَّوْحَانِ إذ لا نَبِيعُ زماننا بزمان

ومنها :

يَاذَا الْغَبَاوَةِ إنَّ بِشْرًا قدْ قَضَى أَلَّا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ
فَدَعُوا الحُكُومَةَ لَسْتُمْ منْ أَهْلِهَا إنَّ الحُكُومَةَ فى بَنِى شَيْبان

ورد الفرزدق بنقيضته :

يا بْن المراغةِ ، وَالْهِجَاءُ إذا الْتَقَتْ أَعنــاقُه وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ

وكان الأخطل قد أسنّ ، فلم يصمد لجرير ، ولكنه بقى يعين الفرزدق عليه وهو نادم على دخوله بينهما ، ولما سمع قول جرير :

جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الجِرَاءِ بِنَابِهِ رَوْقٌ شَبِيبَتُهُ وعمرُك فانِ

قال : صدق إنه لشاب ، ولقد ولّيت . . . ولم يلبث أن هلك ، فقال جرير :

زار القبورَ أَبو مالكٍ فأَصْبَحَ أهونَ زوَّارِهَا

فأجابه الفرزدق بقوله :

زار القبــورَ أَبو مالكٍ رَغْمِ العُدَاةِ وأَوتارِها[1]

وتعرض الراعي النميرى القيسى شاعر مضر لجرير بقوله :

يا صاحبيَّ دنا الأَصِيلُ فَسِيرا غَلَبَ الفَرَزْدَقُ فى الْهِجَاءِ جَرِيرَا

فلامه جرير لأنه قيسى ، وجرير يذود عن قيس ، فأصاخ له بدء ذى بدء ثم عنفه ابنه جندل وسب جريراً ، فأقسم جرير ، ليرجعنه إلى بنى نمير بأعباء ثقال ، وسهر ليلته مع راويته وسراجه ، حتى أصبح عليهم فى المربد وهو ينشدهم الدمّاغة :

أَقِلِّى اللومَ عاذِلَ والعِتَابا وقولى إن أَصبتُ لقد أَصابا

فهجا فيها الراعى وابنه وقومه والفرزدق ورهطه ، وافتخر بقومه ، ولهجت بها الألسنة ، وذهب الراعى بوزرها ، ولم تقم له قيامة بعدها .

---

(١) « النقائض وتاريخها » .

وهكذا كان الشعراء يدخلون بين فحلي تميم ، وكان جرير يسكتهم أفراداً وجماعات حتى غلب ما يقرب من ثمانين شاعراً منهم : العباس الكندي ، وسُراقة البارقي ، وعمر بن لجأ التيمي ، والبلتع المستنير بن سبرة العنبري ، وجيفنة الجزأ العنزي ، والحماني ، والصلتان العبدي ، وغير هؤلاء كثير ممن أسقطهم جرير ، ولم يصمد له غير الفرزدق يؤازره الأخطل .

(ب) أهاجيه :

لم يبدأ بالهجاء أحداً ، بل كان ينتقم ممن ظلم قومه ، أو تعرض له ، أو أعان عليه .

قال له الحجاج : إيه يا عدو الله ، علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقال : جعلني الله فداء الأمير ، والله إني ما أظلمهم ، ولكنهم يظلمونني ، فأنتصر [١] .

وسئل : علام تقذف المحصنات ؟ قال : إنهم يبدءونني ثم لا أعفو [٢] .

وقد ذكرنا فيما سبق أسباب غلبته في الهجاء ، وأخبار التحامه بالشعراء ، وأنه أسقطهم جميعاً ، ولم يصمد له غير الفرزدق يؤازره الأخطل ، ومما أعانه عليهما : فسق الأول ونصرانية الثاني وإدمان شربه الخمر ، مع تدين جرير وعفته .

واتخذ مع معارضيه المربد سوقاً لأهجياتهم ، ينشدونها بين عاصف من التصايح والتهريج والصفير ، ويحاول كل منهم أن يجد إلى القلوب سبيلا ، فكان أقربهم إليها وصولا ، وأعنفهم خصومة ، وأقذعهم هجاء ، وأقدرهم على امتلاك ناصية القول ، وأبرعهم اقتناصاً للمعنى وتوليده ، وأعذبهم أسلوباً ، وأكثرهم تهكماً واستهزاء ، يرمي خصمه بما يضحك السامعين ، ويعجب من مكابرته له ، وتبذله بين الناس ، ويحط من شأن قبيلته ، ويلبسه ثوب السخرية والصغار ،

---

(١) « الأغاني ومهذبه » .

(٢) نفس المرجع و « العمدة » .

ويهتك الحرمات والأعراض . وكثيراً ما اختلق الأكاذيب فى سبيل قهر مُنازله ، فكان الناس يخشون شِرَّةَ لسانه .

ومن هجائه الذى يتسم بعفة المذهب قوله :

لو أَنَّ تَغْلِبَ جَمَّعتْ أَحسابهَا   يوم التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقالا

وقوله :

فغض الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلاَبَا

غير أن البيت الثانى أشد هجاء ، لما فيه من التفضيل ، فقد قالوا : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل[١] . وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، وترك الفحش فيه أصوب ، إلا جريراً فإنه قال لبنيه : إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة ، وإذا هجوتم فخالفوا . ويقول : إذا هجوت فأضحك[٢] . وتأثر به ابن الرومى فسار على منواله فى أهجياته . ومن الاحتقار قول جرير[٣] :

ويُقْضَى الأَمرُ حِين تَغِيبُ تَيْمٌ   ولَا يُسْتَأْذَنُونَ وهُمْ شُهُودُ

(ج) النقائض :

ولَدَ التحام جرير بالشعراء فنًّا جديداً ، يقوم على الحوار والمناظرة والتحدى وقد اتخذته الجماهير مادة للتسلية والفكاهة ، ذلك هو فن النقائض : وفيه ينظم الشاعر قصيدة ، ثم يبادر مُقارعه فينقض هذه القصيدة بأخرى تجرى مع الأولى فى وزنها وقافيتها . ويحاول أن يظهر براعته وتفوقه فى الصياغة الفنية ، والنبرات الموسيقية ، ومعانى الهجاء أو الفخر .

وتعد النقائض من الوثائق التاريخية الجامعة للحوادث والأيام ، والأحساب

(١ و ٢ و ٣) « العمدة » .

والأنساب ، والمناقب والمثالب ، وأخبار العرب فى جاهليتها وإسلامها .
وأشهرها نقائض جرير مع الفرزدق والأخطل .

١ – نقائض جرير والفرزدق :

ناقض جرير الفرزدق فى كثير من قصائده . فنسبه إلى القين ، وغمزه بأن فُقَيْرَةَ جدتهم بنت زنا ، ورماه بنفور زوجه منه . وغدر قومه بالزبير ، وقتل أعْيَنَ المجاشعى أبى زوجه النوار ، كما شنع بِجِعْثِن أخت الفرزدق ، وعيره بخيبته فى الضرب بالسيف الذى أعطاه إياه سليمان بن عبد الملك ليقتل به أسيراً رومياً ، فنبا فى يده ، وألقاه بين ضحك سليمان . وسخرية القوم . ولا ينسى جرير مفاخر قومه ومخازى مجاشع ومن هذه النقائض قصيدة الفرزدق :

تَحِنّ بِزَوْرَاءِ الْمَدِينَةِ نَاقَتِى   حَنِينَ عَجُولٍ تَبْتَغى الْبَوَّ رائِم[1]

ومنها :

أَدِرْسَانَ قَيْسٍ لا أَباً لَكَ تَشْتَرِى   بأَعْرَاض قَوْمٍ هُمْ بُنَاةُ الْمَكارِمِ[2]

نقضها جرير بقصيدته :

أَلَا حَيِّ رَسْمَ المَنْزِلِ المُتَقَادِمِ   وما حَلَّ مُذْ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ سَالِمِ

ومنها :

وإنى وقَيْساً يا بْنَ قينِ مُجَاشِعٍ   كريمٌ أُصَفِّى مِدْحَتى لِلْاكارِمِ

---

(١) العجول : الثكلى وهى المرأة تثكل أولادها ، شبه حنين الناقة بحنين الثكلى وطلبها لولدها البو : جلد حوار يحشى ثماماً لترأمه الناقة ، وتحسبه ولدها ، فينزل لبنها .

(٢) درسان : خلقان الواحد دريس .

٢ – نقائض جرير والأخطل :

وفيها ينصر جرير قومه والقيسيين ، مشيداً بمفاخر أيامهم ، ومآثر أحسابهم وأنسابهم ، ويرمى التغلبيين بكل آبدة وفحش مقذع ، ويهجم على الأخطل ، فيدمغه بالنصرانية والجزية ، واحتساء الصهباء ، والقذارة والغباء ، والبعد عن قبيلة الخليفة والسلطان ، ومن هذه النقائض قصيدة الأخطل :

حَيِّ الظعائنَ إذ رحَلْنَ بُكُورَا بِرُوَيْتَتَيْن فقد رفعن خدروا

ومنها :

أَزَعمْتَ أن بنى كليبٍ سادةٌ قبحاً لذلك معشراً مذكوراً

نقضها جرير بقصيدته :

رحل الخليط فَزَايَلُوكَ بُكورا وَحَسِبْتَ بَيْنَهُمُ عليكَ يَسِيرَا

ومنها :

اللهُ فَضَّلَنَا وأخْزَى تغْلِباً لَنْ تَسْتَطِيع لِمَا قَضَى تَغْيِيرَا

٣ – جرير والفرزدق والأخطل :

وقد اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل . واختلفوا فى تقديم بعضهم على بعض (١) . ثم قضت كثرتهم للفرزدق فى الفخر ، وللأخطل فى المديح ونعت الخمر ، وخصوا جريراً بالفضل فى الهجاء والغزل والرثاء .

أما تقدم الفرزدق فى الفخر ، فلتقدمه على صاحبيه فى شرف العشيرة ، وفخامة العبارة .

---

(١) « الوسيط » و « الأغانى » و « النقائض » و « العمدة » .

وأما سبق الأخطل فى نعت الخمر ، فلأنهما لم يجريا معه فى ميدانها ، لإسلامهما ونصرانيته ، فانفرد بها دونهما ، وأعانه على السبق فى المديح عنايته بالصياغة ، وتعمقه بالصنعة ، وحرصه على إرضاء الخلفاء حماية للنصرانيين من تغلب ، وردًّا الكيد خصومه ، غير أن اعتداده بالمعانى الجاهلية ، وتخلفه عن الإفادة من العناصر الإسلامية ، جعل جريراً يسبقه أحياناً فى هذا المضمار .

وجاء تبريز جرير فى الهجاء بسبب عنفه فى خصومته ، وسخريته من غريمه ، وقسوته فى انتهاك الحرمات ، وما تميز فى الغزل والرثاء إلا لتميزه بالعفة والتدين ، وسجاحة النفس ، وسلامة الطبع ، وعذوبة المنطق ، وصدق الشعور .

ومن الشواهد على ذلك ما روى من أن الفرزدق دخل على سكينة بنت الحسين ، فقالت له : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت أشعر منك الذى يقول :

بِنَفْسِى مَنْ تَجَنُّبُه عَزِيزٌ عَلَىَّ وَمَنْ زِيارتُهُ لِمَامُ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لا أَرَاهُ ويطْرُقُنِى إذا هَجَعَ النِّيامُ

ثم دخل عليها فى اليوم الثانى ، فقالت له : من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت أشعر منك الذى يقول :

لَوْلَا الْحيَاءُ لَهَاجَنِى اسْتِعْبَارُ وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ

وفى اليوم الثالث أعادت السؤال ، وأعاد الجواب ، فقالت : أشعر منك الذى يقول :

إنَّ العُيُونَ التى فى طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يحْيِينَ قَتْلَانا

والأبيات لجرير فى الغزل والرثاء ، ولما سئل بشار بن برد : أى الثلاثة أشعر ؟ قال : لم يكن الأخطل مثلهما ، وكانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، وأبدى إعجابه بأبيات لجرير يرثى ابنه سوادة .

وقال مروان بن أبي حفصة :

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بالْفَخَار وإنَّما   حُلْوُ الْقَرِيضِ وَمُرُّهُ لِجَرِيرِ

ومن قدم جريراً احتج بأنه كان أكثرهم فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً وأرقهم نسيباً ، وأهتكهم لعدوه ستراً ، وأغزرهم بحراً ، إن طَلَبَ لم يُسْبَقَ ، وإن طُلِبَ لم يُلْحَق[1] .

٤ – سيرورة شعره

تأثرت نفس جرير الصافية بالحياة الجديدة ، فصوّرها للناس كما أحبّوها ، وابتدع لهم فى شعره من فن القول ، وجديد المعانى ، وضروب الخيال ، وسهولة الأساليب ، وعذوبة الموسيقى ، ما أعجبهم وأطربهم ، فتعلقوا به ، وأقبلوا عليه يحفظونه ، وينشدونه فى كل مكان ، حتى اتهمت الجنّ بإذاعتها ، فكان بذلك أكثر أهل زمانه سيرورة شعر ، وقرْباً إلى النفوس .

قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه وهو :

قَوْمٌ إذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيافُ كَلْبَهُمُ   قَالُوا لِأُمِّهِمُ بُولِى عَلَى النَّارِ

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر . وقال هو :

والتَّغْلِبِىُّ إذَا تَنَحنَح لِلْقِرى   حكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته . قال الأصمعى : فحكما له بسيرورة الشعر[1] . وكان جرير يعتزّ بذلك . قال وهو يهاجى البعيث :

فَإِنِّى لَهَاجِيهِمْ بِكُلِّ غَرِيبَةٍ   شَرُودٍ إذَا السَّارِى بِلَيْلٍ تَرَنَّمَا

غَرائِبَ أُلَّافاً إذَا حَانَ وِرْدُهَا   أَخَذْنَ طَرِيقاً لِلْقَصَائِدِ مُعْلَمَا

---

(١) « الأغانى » و « العمدة » ٢ / ١٤٦ .

٥ ــ منزلته بين الشعراء

مما تقدم نعى سر إعجاب الرواة والنقاد فى سائر العصور بشعره ، وتقديمهم لبعض أبياته القريبة المعنى على أبيات فحول الشعراء .

سئل أعرابى راوية : أى الشعراء عندكم أشعر ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير[١] .

وقال جرير لرجل من بنى طهيـَّة : أينا أشعر أنا أم الفرزدق ؟ فقال له : أنت عند العامة ، وهو عند العلماء ، فصاح به جرير : أنا أبو حزرة غلبته ، ورب الكعبة ما فى كل مائة رجل عالم واحد .

ونزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال الأحوص : ما تشتهى ؟ قال : شواء وطلاء وغناء ، قال : ذلك لك ، ومضى به إلى قينة ، فغنته :

أَلاَحَيِّ الديارَ بِسَعْدَ إنِّى   أُحِبُّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيارا
أَرَادَ الظَّاعِنُونَ لِيُحْزِنونِى   فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِى فَاسْتَطَارَا

فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها ! فقال الأحوص: أو ما تدرى لمن هذا الشعر ؟ قال: لا والله ، قال : فهو والله لجرير يهجوك به ، فقال: ويل ابن المراغة ، ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى ، وأحوجنى مع شهواتى إلى رقة شعره .

وقال الرجل للفرزدق : يا أبا فراس ، هل تعلم اليوم أحداً يرمى معك ؟ فقال : لا والله ، ما أعرف نابحاً إلا وقد استكان ، ولا ناهشاً إلا وقد انجحر ، إلا الذى يقول وذكر أبياتاً لجرير منها :

لِسانى وسَيْفِى صَارِمَانِ كِلاَهُمَا   ولَلسَّيْفُ أَشْوى وَقْعَة مِنْ لِسَانِيَا

---

(١) « مهذب الأغانى » ٥/ ٦٧ .

وسأل رجل جريراً : من أشعر الناس ؟ فقال له : قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده ، وجاء به إلى أبيه عطية ، وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها ، وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : اخرج يا أبت ؛ فخرج شيخ دميم رث الهيئة ، وقد سال لبن العنز على لحيته ، فقال ألا ترى هذا ؟ قال : نعم ، قال : أو تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبي ؛ أفتدرى لمَ كان يشرب من ضرع العنز ؟ قال : لا ، فقال جرير : مخافة أن يُسْمعَ صوت الحلب ، فيطلب منه لبن. ثم قال : أشعر الناس من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً ، وقارعهم به ، فغلبهم جميعاً .

٦ ــ تأَثره وتأْثيره

خضعت حياة جرير لمؤثرات تأثّر بها شعره : فبدأ أكثر قصائده بالنسيب فى صياغة عربية بدوية جاهلية ، ومدح بالشجاعة والكرم ، وفخر بالأيام والأحساب والأنساب ، مقتفياً أثر الجاهليين ، وبيته :

أَغَرَّكِ مِنى أَنَّمَا قَادَنىٌ الْهَوَى إِلَيْكِ وَمَا عَهْدٌ لَكُنَّ بِدَائِمِ

من قول امرئ القيس :

أَغَرَّكِ مِنِّى أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلى وَأَنَّكِ مهْمَا تَأْمُرِىٰ الْقَلْبَ يَفْعَلِ

وللحياة الإسلامية أثر فى تدينه وعفته ، وصفاء نفسه ، ورقة طبعه ، وسهولة أسلوبه ، وعذوبة غزله ، وروعة مراثيه .

واستعان بالقرآن والحديث ، والعناصر الدينية ، والآراء المذهبية ، والاتجاهات السياسية والاجتماعية ، فشاعت له ألفاظ ومعان لم تكن شائعة ، كالله والنبوة والملائكة ، والصلاة والصوم والحج ، والأبرار والكفار ، والإسلام والنصرانية ، والخلافة والإمامة وغيرها كقوله :

إِنَّ الَّذِى حَرَمَ الْمكارمَ تَغْلِباً جَعَلَ الْخِلاَفَةَ وَالنُّبُوَةَ فِينَا

ومن اقتباسه القرآنىّ بيته فى عبد العزيز بن الوليد :

فَلاَ هُوَ فِى الدُّنْيَا مُضِيعٌ نَصِيبَه   وَلَا عَرَضُ الدُّنْيَا عنِ الدِّينِ شَاغِلُه

من قوله تعالى :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّار الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا)

وهجا الأخطل بنصرانيته :

فَخَرْتُ بِقَيْسٍ وافْتَخَرْتَ بِتَغْلِبٍ   فَسَوْفَ تَرَى أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَرْبَحُ ؟
فَأَمَّا النَّصَارَى العَابِدُونَ صَلِيبَهُمْ   فَخَابُوا ، وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَأَفْلَحُوا

ورمى الفرزدق بفسقه :

تَتَبَّعُ فى الْمَاخُورِ كلَّ مُرِيبَةٍ   وَلَسْتَ بِأَهْلِ الْمُحْصَنَاتِ الْكَرَائِمِ

ومدح الأمويين وولاتهم وأيد سياستهم تأييداً دينيًّا ، متأثراً بالنظريات العقلية والمذهبية التى شاعت فى عصره ، والتى كانت سبباً فى نضوج فن النقائض والمناظرة والجدل ، وتوليد المعانى ، كما بينا آنفاً .

وهل شاعرية أسرته ، وبدوية بيئته ، وضعة رهطه ، ورقة حاله ، وتتابع الأحداث ، وتنافس الشعراء بالمربد ، وتقابلهم فى مجالس الخلفاء ، وإجزال العطاء ، وشيوع النقد والثقافة ، إلا مؤثرات أقامت شعره ، وهيأت له نفسه ، فأحكم المدح والهجاء ، وأسلس الغزل والرثاء .

وكثيراً ما تأثر بنقائض الفرزدق والأخطل ، وهو يجيبهما ، محاولاً أن يبذهما ويُفْحِمهما بنقض ما أتيا به .

ولا نعفيه من التأثر بالنقائض والأحاجى ، التى عجت بها المعركة الشعرية ، إبان ظهور الدعوة الإسلامية ، بين شعراء الرسول وشعراء الوثنية .

وله تأثير مباشر فى شاعرية أبنائه وأحفاده ، وسائر شعراء عصره ، لسيرورة

شعره ، ولأنه المقدم فيهم مع زميليه الفرزدق والأخطل اللذين ظهر أثره واضحاً فى نقائضهما وهما يردان عليه .

واقتفى أثره فى مدائحه كثير ممن أتى بعده من الشعراء ، كبشار ، وأبى نواس ، والبحترى ، وأبى تمام . وكان بشار يعجب بشعره ، ويحاول الالتحام به ، ولكنه لم يفلح ، فقد هجاه ولم يجبه ، قال بشار : لم أهجه لأغلبه ، ولكن ليجيبنى ، فأكون من طبقته ، ولو هجانى لكنت أشعر الناس [١] .

واغترف البحترى من عذوبة أسلوبه ، وسار على منهاج نسيبه ، كما سلك طريقته فى الهجاء سواء على بن العباس بن الرومى ، فإنه كان يطيل ويفحش [٢]

وله مرافدة مع بعض الشعراء يعينهم بأبيات يهبها لهم ، قال لذى الرمة : أنشدنى ما قلت لهشام المرى ، فأنشده قصيدته :

نَبَتْ عيناكَ عن طَلَلٍ بِحَزوى   مَحتْه الريحُ وامتنح القطارا

قال : ألا أعينك ، قال : بلى بأبى وأمى . قال : قل له :

يعُدُّ النَّاسِبُون إِلَى تَمِيمٍ   بُيُوتَ الْمَجْدِ أَرْبَعةً كِبَارَا
يعدُّون الرِّبَابَ وآلَ سَعْدٍ   وعمْرًا ثم حَنْظَلَةَ الخِيَارَا
ويَهْلك بَيْنَهَا المُرِّىُّ لَغْوًا   كما أَلْغَيْتَ فى الدِّيَةِ الحُوارا

فلقيه الفرزدق فاستنشده ، فلما بلغ هذه قال : جيِّد أعِدْه ، فأعاد ، فقال : كلا والله لقد عَلَكَهن من هو أشد لحيين منك ، هذا شعر ابن المراغة [٣] .

واسترفد هشام المرى جريراً على ذى الرمة ، فقال فى أبيات :

يُمَاشِى عَدِيًّا لُؤْمُهَا مَا تُجِنُّهُ   مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عدِيًّا ظِلَالُهَا
فَقُلْ لِعَدِىّ تَسْتَعِنْ بِنِسَائِهَا   عَلَىَّ فَقَدْ أَعْيَا عَدِيًّا رِجَالُهَا
أَذَا الرُّمِّ قَدْ قَلَّدْتَ قَوْمَكَ رُمَّةً   بطيئاً بِأَيْدِى الْعَاقِدِينَ انْحِلَالُهَا

(١ و ٢ و ٣) « العمدة » لابن رشيق .

فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلنا ؛ هذا والله شعر حنظلى ، وغلب هشام على ذى الرمة ، بعد أن كان ذو الرمة مستعلياً عليه[١] .

والتقط يزيد بن الطثرية وسط بيته :

إِذَا مَا رَآنِى مُقْبِلًا غَضَّ طَرْفَهُ   كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ دُونِى يُقَابِلُهُ

من قول جرير :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

فى قصيدته التى ذاع خبرها ، وشاع أثرها ، شأن الكثير من شعر جرير ، وهى التى أخزى بها بنى نمير ، وكانوا جمرة من جمرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخـّمَ لفظه ، ومدّ صوته ، وقال : من بنى نمير . إلى أن هجاهم جرير بهذه القصيدة فلم يرفعوا رأساً بعدها إلا نكس ، حتى إن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً[٢] فيعبث به بنو نمير ، فقص الخبر على مواليه ، وقد ضجر من ذلك ، فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

ومرّ بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه ، فقال : غمض والا جاءك ما تكره ، فكفوا عنه ، ولم يعرضوا له بعدها .

ومرّت امرأة ببعض مجالسهم فأداموا النظر إليها ، فقالت : قبحكم الله يابنى نمير ، ما قبلتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ولا قول الشاعر : فغضّ الطرفَ . . . البيت[٣] .

والقصيدة التى منها هذا البيت تسميها العرب الفاضحة ، ويسميها جرير

---

(١) « العمدة » لابن رشيق .

(٢) امتار : جمع الطعام والمؤنة .

(٣) « العمدة » لابن رشيق .

الدمّاغة ، أو الدهقانة ، ويسمى قافيتها المنصورة . لنصره بكل قصيدة على قافيتها .

وهذا رجل ظريف من تغلب يقول : ما لقى أحد ما لقيت أنا ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : قال جرير أبياته التى منها :

وَالتَّغْلِبِىُّ إِذَا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَى   حَكَّ اسْتَهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا

والله ، إنى لأتوهم أن لو نهشت استى الأفاعى ما حككتها [1] .

ومرّ بالفرزدق رجل فيه لين ، فقال له : من أين أقبلتْ عمّتنا ؟ قال : نفاها الأغرُّ ابنُ عبد العزيز . فكأنّ الفرزدق صُبّ عليه الماء ، لأنه عرّض له بقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة :

نَفَاكَ الْأَغَرُّ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ   وَحَقّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وله أبيات كثيرة لها صلة بمن تقدم عليه ، وأثرٌ فيمن تأخر عنه أو عاصره مثل قوله :

يُكَلِّفُنِى رَدَّ الْعَوَاقِبِ بَعْدَ مَا   سَبَقْنَ كَسَبْقِ السَّيْفِ مَا قَالَ عَاذِلُهُ

أخذه الكميت بن معروف فقال :

ولا تُكْثِرُوا فِيهِ الضِّجَاجَ فَإِنَّه   مَحَا السَّيفُ مَا قَالَ ابنُ دَارَةَ أَجْمَعَا

والمثل السائر من قبل هذا : « سبقَ السيفُ العذل [2] » .

وقال جرير :

قَوْمٌ إِذا حَضَرَ الْمُلُوكَ وُفُودُهُمْ   نُتِفَتْ شَوَارِبُهمْ عَلَى الْأَبْوَاب

(١ و٢) « البيان والتبيين » .

فقال الآخر :

فَلَمَّا وَرَدْتُ الْبَابَ أَيْقَنْتُ أَنَّنَا   عَلَى اللهِ والسُّلْطَان غَيْرُ كِرَامِ (١)

* * *

وقال سويد بن أبى كاهل اليشكرى :

وَلسَاناً صَيْرَفِيًّا صَارِماً   كَحُسَامِ السَّيْفِ مَا مَسَّ قَطَعْ

وقال حسان بن ثابت :

لسانِى وسيفى صارمان كلاهما   ويَبْلُغُ مالا يَبْلُغ السَّيْفُ مِذْوَدى (٢)

فقال جرير :

وَلَيْسَ لِسَيْفِى فى الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ   ولا السَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

وقال الآخر :

وَجُرْحُ السَّيْفِ تَدْمُله فَيَبْرَى   وَيَبْقَى الدَّهْرَ ما جَرَحَ اللِّسَان (٣)

ومنه قول ا .

جِرَاحاتُ السِّنان لها الْتِئامٌ   ولا يلتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ

* * *

وديوان جرير وثيقة تاريخية لأيام العرب وأحسابها وأنسابها ، وصورة صادقة لحياة الأمويين الاجتماعية والسياسية والأدبية ، غير أنه لم يسلم من وصمة الهجاء المفحش الخبيث ، وسبة الواقعية المكشوفة .

وطالما استشهد النحاة بأوابده ، واغترف الأدباء من بحور قصائده ، وسيبقى أبد الدهر منهلاً عذباً لورّاد العربية ، وعشاق البيان .

* * *

(١ ، ٢) « البيان والتبيين » .

(٣) المذود : اللسان .

الفصل الرابع

منتخبات من شعر جرير

١ – الشاعر السياسى

لولا الخليفة

قال جرير يؤيد الخلافة الأموية ، ويفضل آل مروان ، ويذكر صلة الخلافة بالدين ، وأن الدين لا يقوم بغير خلافة عبد الملك أمين الله العادل الشجاع ، الذى لا يفل غربه ، ولا ينبو ضربه ، والإمام المتبع ، والمبارك المطاع من آل مروان الجامعين لكل فضل ، يدين الرجال لصولته ، ويصيبون من عفوه وكرمه ، ويبايعونه على السمع والطاعة :

لَوْلاَ الخليفــةُ وَالْقرآنُ يَقرؤُهُ ... ما قامَ لِلنَّاسِ أَحكام وَلا جُمَعُ

أَنتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللهِ لا سرَفٌ ... فِيما وَلِيتَ وَلا هَيَّابَةٌ وَرَعُ[1]

مِثلُ المُهنَّدِ لم تُبْهَر ضريبتُهُ ... لم يَغْشَ غَربَيْهِ تَفليلٌ ولا طَبَعُ[2]

وَارِى الزِّنادِ منَ الأَعياصِ فى مَهَلٍ ... فالعالمون لِما يقضِى به تَبعُ[3]

أَنْتَ المُبارَكُ يَهدِى اللهُ شِيعَتَهُ ... إِذا تفرَّقَتِ الأَهْوَاءُ والشِّيَعُ

فَكلُّ أَمْر عَلَى يُمْنٍ أَمَرْتَ بهِ ... فِينا مُطاعٌ ومَهما قُلتَ مُستمَعُ

يا آلَ مَرْوَانَ إِنَّ اللهَ فضَّلَكمْ ... فَضْلًا عظِيماً عَلَى مَن دِينُهُ الْبِدَعُ

الجامِعِين إِذَا ما عُدَّ سَعيُهمُ ... جَمْعَ الكِرامِ وَلا يُوعُونَ ما جمَعُوا

---

(١) الهيابة الورع : الجبان .

(٢) تبهر : تغلب . وغرب المهند : حد السيف . وتفللت مضارب السيف : تكسرت . والطبع : كثرة الصدأ على السيف .

(٣) الأعياص : من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص . وفى مهل : المهل التقدم فى الخير ، وأسلاف الرجل المتقدمون .

تَلْقَى الرِّجالَ إذا ما خِيفَ صولتُهُ — يَمشون هَوْناً وفى أَعناقِهِمْ خَضَعُ[١]
فإِنْ عَفَوْتَ فضَلْتَ الناسَ عافيَةً — وَإِن وقعْتَ فما وَقْعٌ كَما تقعُ
ما كانَ دُونكَ مِن مَقْضًى لحاجَتنا — ولا وراءَك لِلحاجاتِ مُطّلَعُ[٢]
إنَّ البرِيَّةَ تَرضى ما رَضِيتَ لها — إن سِرتَ سَارُوا وَإن قُلتَ ارْبَعُوا رَبَعوا[٣]

السَّيْفُ الْمُجَرَّدُ بِالْحَقِّ

لا يقوم الجهاد والدين إلا بأمير المؤمنين الإمام العادل ، وبسيف الحجاج الباتر ، يجرده بالحق على أعداء الخليفة والدين ، من أهل العراق ومن لف لفهم ، ويدعو به إلى الهدى وإلى طريق مستقيم :

ولولاَ أَميرُ المومنـــين وأَنَّهُ — إمامٌ وعَدلٌ لِلبريَّةِ فاصِلُ[٤]
وَبَسْطُ يَدِ الحَجَّاجِ بالسيفِ لم يكن — سبيلُ جهادٍ وَا سْتبيح الْحلائلُ[٥]
إذا خافَ دِرْءًا مِن عدوّ رَمى بهِ — شديدُ القُوَى والنَّزعِ فى القوسِ نابِلُ[٦]
خليفةُ عدلٍ ثَبَّتَ ٱللهُ مُلْــكهُ — على راسياتٍ لم تُزِلْها الزَّلازِلُ[٧]
دَعُوا الجُبْنَ يا أَهلَ العراقِ فإنما — يُباحُ ويُشرى سَبيُ من لا يقاتلُ[٨]
لقد جرَّد الْحَجَّاجُ بالْحقِّ سيفَهُ — لكم فاستقيموا لا يميلَنَّ مائلُ[٩]
فما يستوِى داعى الضَّلالةِ والْهُدى — ولا حُجَّةُ الخَصمين حَقٌّ وباطِلُ

---

(١) خضع : تطامن واستكانة .
(٢) مطلع : مقصد ومصعد .
(٣) اربعوا : قفوا .
(٤) البرية : الخلق .
(٥) الحلائل : جمع حليلة الزوجات .
(٦) الدرء : الدفع والمخالفة . ونزع فى القوس : مدها . ونابل : معه نبل حاذق بالنبالة .
(٧) الراسيات والرواسى : الثوابت والرواسخ .
(٨) السبى : الأسر .
(٩) جرد سيفه : شهره وعراه من غمده .

وَأَصبحَ كالْبازِى يُقلِّبُ طَرْفَهُ | على مرْبـأٍ والطيرُ منهُ دواحِلُ[١]
وخافُوك حتى القومُ تنزُو قلوبُهُم | نُزاءَ القطا التَفَّتْ عليهِ الحبائلُ[٢]
وما زِلْتَ حتى أَسهلت من مخافةٍ | إليكَ الَّلواتى فى الشُّعُوفِ العواقل[٣]
وَثِنتانِ فى الحجَّاجِ لا تَرْكُ ظالِمٍ | سويًّا ولا عِنَد المُراشاةِ نائل[٤]
وَمَنْ غَلَّ مالَ اللهِ غُلَّتْ يمينُهُ | إذا قيل أَدُّوا لا يَغُلَّنَّ عامِل[٥]
قَدِمتَ على أَهلِ الْعِراقِ ومنْهُمُ | مُخالِفُ دِينِ المسلمين وَخاذِلُ
فكنْتَ لِمَنْ لا يُبْرِئُ الدِّينُ قَلْبهُ | شِفاءً وَخَفَّ المُدْهنُ المُتثاقِلُ[٦]
سَلكتَ لأَهلِ البَرِّ برًّا فَنِلْتَهم | وفى اليمِّ يأْتَمُّ السَّفِينُ الجوَافِل[٧]
لَقَدْ جَهَدَ الحَجَّاجُ فى الدينِ واجتبى | جَبًا لمْ تَغُلْهُ فى الحِياضِ الغوائل[٨]
وما نامَ إِذْ باتَ الحَواضِنُ وُلَّهًا | وَهنَّ سَبايَا للصُّدُورِ بَلابِل[٩]
أَطيعُوا فلا الحَجَّاجُ مُبقٍ عليكُمُ | ولا جِبْرَئيل ذُو الجناحين غافِلُ

---

(١) البازى : من جوارح الطير ومنه نوع بمصر ، فيه نشاط وحذر ، لا يأوى إلا إلى الأماكن العالية ، يغادر وكره مبكراً ويعود إليه متأخراً . والمربأ : المكان المرتفع يقف عليه المراقب . دواحل : أى تدخل الدحل لتستتر فيه ، والدحل : نقب ضيق فه ، متسع أسفله .

(٢) تنزو : تثب وتضطرب . والقطا : طائر من نوع الحمام . الحبائل : جمع حبالة وهى شبكة الصيد .

(٣) أسهلت : نزلت إلى السهل . والشعوف : أعالى الجبل واحدها شعفة . والعواقل : المتحرزات . المفرد عاقل ، وهو الوعل الممتنع فى أعلى الجبل .

(٤) المراشاة : المصانعة . من الرشوة وهى إعطاء المال لتغيير الحقيقة . والنائل : العطية .

(٥) غل : خان . غلت يمينه : وضع فيها القيد .

(٦) المدهن : المصانع الملاين .

(٧) يأتم : يقصد . اليم : البحر. السفين : جمع سفينة . الجوافل : المسرعة والنافرة .

(٨) اجتبى : اختار . الجبا : أصله الحوض الذى يجمع فيه الماء للإبل .

(٩) الحاضنة : التى لها صغير تربيه . الوله : جمع الواله : الشديدة الحزن والجزع على ولدها . وبلابل الصدور : وساوسها وبرحاؤها .

تَمَنَّى شبيبٌ مُنيةً سَفُلَتْ بهِ ... وَذُو قَطَرِىٍّ لَفَّهُ مِنكَ وَابِلُ[١]
تقولُ فلا تُلقَى لِقولِكَ نَبْوَةٌ ... وتَفْعَلُ مَا أَنْبأْتَ أَنَّك فاعِلُ[٢]

سِرْبَالُ المُلْكِ

يؤيد جرير المروانيين ، فيجعل الخلافة سربالا يلبسه الله من يشاء فضلا منه ومنًّا ، ويذهب آل مروان بهذا الفضل ، وبالأخذ بأسباب المجد ، كما فضلهم الله فى القدم بسموق النسب ، وكرم المحتد ، فما يزحزح عنهم ملكهم ، ولا يزعزع غابر مجدهم :

يَكْفِى الخَلِيفةَ أَنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبالَ مُلكٍ بهِ تُزْجَى الخَوَاتِيمُ[٣]
مَنْ يُعْطِهِ اللهُ مِنْكمْ يُعْطَ نَافِلةً ... وَيَحرِمِ اليوم مِنكم فَهوَ مَحْرُومُ[٤]
يا آلَ مَرْوَانَ إِنَّ اللهَ فَضَّلَكمْ ... فَضْلاً قَدِيماً وَفى المَسْعَاةِ تقويمُ[٥]
قَوْمٌ أَبوهُمْ أَبُو العَاصِى وَأَوْرَثَهُمْ ... جُرْثومةً لا تُسَامِيهَا الجَرَاثِيمُ[٦]
مَا المُلكُ مُنْتَقلٌ منكمُ إلى أَحَدٍ ... ولا بِنَاؤُكُم العادِىُّ مهْدُومُ[٧]

نصر من الله

وقال يناصر يزيد بن عبد الملك ، المثبت بكتاب الله وقدره ، ويعرض بأعدائه ، الذين قطع الله دابرهم ، وأيده بنصر من عنده :

زَانَ المَنَابِرَ وَاخْتَالَتْ بِمُنْتَجَبٍ ... مُثَبَّتٍ بِكِتَابِ اللهِ منصورِ[٨]
يَكفِى الخَلِيفةَ أَنَّ اللهَ فَضَّلَهُ ... عَزمٌ وثِيقٌ وَعَقْدٌ غَيرُ تَغرِير

---

(١) روى : فتنة سفلت به . ذو قطرى : أراد قطرى وذو زائدة . وشبيب وقطرى : من زعماء الجوارج . وابل : مطر شديد .
(٢) نبوة : انحراف .
(٣) سربله : ألبسه السربال ، والسربال : القميص . تزجى : تساق .
(٤) نافلة : عطية .
(٥) المسعاة : المكرمة والعلاء فى ضروب المجد .
(٦) جرثومة الشيء : أصله .
(٧) العادى : القديم .
(٨) المنتجب : المختار .

ما يُنْبِتُ الفَرْعُ نَبْعاً مثلَ نَبْعَتِكُمْ ... عِيدَانُهَا غَيرُ عَشَّاتٍ وَلاَ خُورِ[1]

قَدْ أَخْرَجَ اللهُ قَسْرًا مِن مَعَاقِلِهِمْ ... أَهلَ الحُصونِ وأَصحَابَ المَطَامِيرِ

كَمْ منْ عَدوٍّ فجذَّ اللهُ دابِرَهُمْ ... كادُوا بمكْرِهِمُ فارْتدّ فى بورِ[2]

وَكانَ نصرًا منَ الرّحمٰنِ قدَّرهُ ... واللهُ رَبُّكَ ذو مُلكٍ وتَقدِيرِ

ولى العهد عبد العزيز

أراد الوليد بن عبد الملك فى آخر أيامه ، أن يحول ولاية العهد من أخيه سليمان إلى ولده عبد العزيز، ودس فى ذلك إلى القواد والشعراء ، فقال جرير يؤيد الوليد فيما أراد ، ويحضه عليه ، ويدعو لولى العهد عبد العزيز بن الوليد[3] :

إلى عبدِ العزيزِ سَمتْ عيونُ الـ ... رّعيةِ إنْ تُخيِّرت الرِّعاءُ

إليهِ دعتْ دوَاعِيه إذا ما ... عمادُ المُلْكِ خرّت وَالسماءُ

وَقالَ أولُو الحُكومةِ من قريشٍ ... عَلينَا البيعُ إذ بَلغَ الغِلَاءُ[4]

رأَوْا عبدَ العزيزِ وَلِىَّ عهدٍ ... وما ظَلمُوا بذَاك وَلا أَساءُوا

فزَحْلِفهَا بأَزْفُلِها إليهِ ... أَميرَ المؤمنينَ إذا تشَاءُ[5]

فإنَّ الناسَ قد مدُّوا إليْه ... أَكُفَّهمُ وَقد بَرِحَ الخفَاءُ

وَلوْ قَدْ بايعُوكَ وَلِىَّ عهدٍ ... لقَام القِسْطُ وَاعتَدَلَ البنَاءُ[6]

---

(١) النبع : شجر للقسى وللسهام .الشجرة العشة : اللثيمة المنبت الدقيقة القضبان .

(٢) جذ : قطع . جذ الله دابرهم : أهلكهم . بور : هلاك .

(٣) « الديوان والنقائض » .

(٤) الغلاء : بفتح الغين وكسرها من المغالاة والمسابقة .

(٥) زحلفها إليه : ادفعها . بأزفلها : بأجمعها .

(٦) القسط : العدل . وفى « رواية النقائض » : الوزن .

خير خليفة

إذا قِيلَ أَىُّ الناسِ خَيرُ خليفةً أَشَارتْ إلى عبدِ العزِيز الأَصابعُ
رَأَوْهُ أَحقَّ الناس كلهمُ بها وَما ظَلَمُوا إنْ بايعُوهُ وسارعُوا

غدر وانتقام

من الحوادث السياسية التى سجلها جرير فى شعره : غدر بنى مجاشع بالزبير بن العوام ، وهو منصرف من وقعة الجمل ، حين قتله عمرو بن جرموز بن الذيال واستولى على سلبه .

ومنها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى ، وكان على جيش خراسان ، فبطش ببنى الأهتم ، وخلع سليمان ابن عبد الملك ، فشغب به وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود اليربوعى وقتله ، وبعث برأسه إلى سليمان ، وفى هذين الحادثين يقول جرير :

فَمَا وَجَد الجِيرانُ حَبلَ مجاشعٍ وَفِيًّا وَلا ذا مِرَّة فى العزائم[١]
ولامتْ قريْشٌ فى الزُّبير مُجاشِعاً ولم يَعذِروا مَن كان أَهلَ المَلاوِمِ[٢]
وقالت قُريشٌ لَيتَ جارَ مُجاشِعٍ دَعَا شَبَثاً أَوْ كانَ جارَ ابنِ خازمِ[٣]
ولوْ حَبل تَيْمىٍّ تَناولَ جارُكمْ لما كان عارًا ذكرُه فى المواسمِ[٤]
فغيْرُك أَدَّى للخليفـــةِ عهدَهُ وغيرُكَ جَلَّى عن وُجُوْر الاهاتمِ[٥]

---

(١) ذو مرة : قوة وشدة . العزائم : ما يعزم عليه من الأمور .

(٢) الملاوم وجمع ملامة .

(٣) شبث بن ربعى الرياحى . وابن خازم هو عبد الله بن خازم صاحب خراسان . وجار مجاشع : الزبير بن العوام قتله عمرو بن جرموز .

(٤) تيمى : تيم الرباب .

(٥) حج سليمان بن عبد الملك ، فبلغه بمكة إيقاع وكيع بقتيبة ، فذكر غدر تميم وإسراعهم إلى الفتن ، فقام الفرزدق ، وفتح رداءه وقال : يا أمير المؤمنين هذا ردائى رهن لك بوفاء تميم ، والذى بلغك كذب . ثم جاءت بيعة وكيع لسليمان فقال الفرزدق :

فدى لسيوف من تميم وفى بها ردائى وجلت من وجوه الأهاتم

فناقضه جرير بقوله :

فغيرك أدى للخليفة عهده ... ...

البيت : يعنى وكيع بن أبى سود اليربوعى .

جلى : كشف الخطب وأذهبه . الأهاتم : بنو الأهتم بن سمى بن سنان .

فإنَّ وَكيعاً حين خارتْ مُجاشعٌ كفَى شعْبَ صدْعِ الفِتنةِ المُتفاقِمِ[١]
لقد كنتَ فيها يا فَرَزْدَقُ تابعاً وريشُ الذُّنَابَى تابعٌ للقوادِمِ[٢]
ندافعُ عنكم كلَّ يَوْمِ عظيمةٍ وأنت قُراحِيٌّ بسَيْفِ الكواظِمِ[٣]
أَباهِلَ ما أَحبَبتُ قتلَ ابنِ مُسْلمٍ ولا أَن تَرُوعوا قوْمَكُمْ بالمظالِمِ[٤]
أَباهِلَ قد أَوْفيْتُمُ منْ دِمائِكمْ إِذا ما قتلتمْ رَهطَ قَيْسِ بنِ عاصِمِ

رَضِينَا بالخليفَة

قال يؤيد الخليفة هشام بن عبد الملك ويشكو سوء حاله ، من قصيدة يمدحه بها ، ويقال : إنها آخر قصائده ، وقد أرسل بها إليه مع ابنه عكرمة .

ومن يقرأ الأبيات التالية يجد سهولتها المفرطة فى السهولة ، ويحس ما فيها من نبرات موسيقية شعبية ، كالذى نقرؤه فيما تنشره الصحف ، أو نسمعه فيما ترسله الإذاعة على موجات الأثير ، بعبارة يفهمها كل إنسان ، وتتأثر بها كل نفس ، وهذا هو منهاج الدعاية السياسية فى عصورها الحديثة ، سلكه جرير من قبل ، فكان من دعاة السياسة الأموية البارعين :

أَبيتُ الليْلَ أَرْقُبُ كلَّ نَجْمٍ مُكابَدَةً لِهَمِّيَ واحْتِمـــامَا[٥]
لِمَرِّ سنينَ قد لَبِسَتْ شبابِى وأبلَتْ بعـــد جِدَّتها العِظامَا
مَشَيْتُ عَلَى العَصا وحَنَوْنَ ظَهرِى وودَّعتُ المَوارِكَ والزِّمامَا[٦]
وكيف لا أَشُدُّ حِبالَ رَحْلٍ أَرومُ إِلى زِيارتكَ المَرَامَا

* * *

أَمِـــيرُ المُؤْمنين قَضَى بِعَدْلٍ أَحَلَّ الحلَّ واجْتَنَبَ الحرَامَا

---

(١) خارت : ضعفت . شعب : تفرق . صدع : شق .
(٢) القوادم : الريشات العشر فى أول الجناح وبعدها الخوافى .
(٣) القراحى : صاحب القرية الملازم لها لا يشهد حرباً .
(٤) أباهل : أباهلة وحذف التاء على الترخيم وباهلة قوم قتيبة بن مسلم الباهلى .
(٥) المكابدة : تحمل المشاق . والاحتمام : الاهتمام ، من الحمى لأن صاحبها لا ينام .
(٦) مورك الرحل : الموضع الذى يجعل عليه الراكب رجله ، والموركة كمكنسة قادمة الرحل والمصدغة يتخذها الراكب تحت وركه ، وورك الرحل جعله حيال وركه . الزمام : المقود .

أَتَمَّ اللهُ نِعمتَــه عليكمْ وزادَ اللهُ مُلككُمُ تماما
وبارَكَ فى مَسِيركُمُ مَسِيرًا وبارَكَ فى مُقامكمُ مُقــامًا
بحقٍّ المستجيرِ يخافُ رَوْعاً إذا أَمسى بحبْلكَ أن ينامًا[١]
فَيَا رَبَّ الْبَرِيَّةِ أَعْطِ شكْرًا وعافيـــةً وأَبقِ لنـــا هِشَامًا
وثِقْنا بالنجــاحِ إذا بَلَغنا إمامَ العَدلِ والمَلِكَ الهُمَامَا
عطاءُ اللهِ مَلَّكك النصارَى ومَنْ صــلَّى لقِبلتِهِ وصامًا
تُــعا فى السَّامعينَ إذا أَطاعُوا ولكنَّ العُصاةَ لقُوا غرامًا[٢]
وكان أَبوكَ قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ يُفَرِّجُ عنهمُ الْكُرَبَ العِظاما
وقدْ وجَدوكَ أَكرمَهمْ جُدودًا إذا نُسِبوا وأَثبتَهُمْ مَقــامًا
إلى المَهْدِىِّ نَفزَعُ إن فَزِعنا ونستسْقِى بغُرَّتِهِ الغَمــامًا
وحَبلُ اللهِ تَعْصِمُكمْ قُوَاهُ فلا تَخْشَى لعُرْوَتِهِ انْفِصَامًا[٣]
ويحْسَرُ مَن تَرَكتَ فلمْ تُكلِّمْ ويُغْبَطُ مَن تُراجِعُهُ الكلاما
رَضِينا بِالخليفَــةِ حينَ كنَّا لهُ تَبَعاً وكان لنا إماما
تَباشَرَتِ الْبلادُ لكمْ بحُكْمٍ أَقامَ لَنـــا الفرائضَ واسْتقَامَا
وَرِيشِى مِنْكمُ وهَوَاىَ فيكمْ وَإِن كانتْ زيارتُكمْ لِمامًا[٤]
وُقِيتَ الْحَتْفَ مِن عَرضِ الْمَنايا وَلُقِّيتَ التحيَّةَ والسَّلاما[٥]

---

(١) الروع : الفزع .
(٢) الغرام : الخسران والبوار .
(٣) تعصمكم : تحفظكم . وانفصاماً : انكساراً .
(٤) جعل الله اللباس ريشا : أى زينة وجمالا « قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً » مستعار من الريش الذى هو كسوة وزينة للطائر . ومن المجاز رشت فلاناً : قويت جناحه بالإحسان إليه . زيارتكم لماما : فى بعض الأحايين .
(٥) الحتف : الموت .

٢ — الشاعر الغنائى

(ا) نسيبه وغزله :

العُيونُ القاتلة

ومن طريف غزله الذى استرسل فيه مع نفسه ووجده وذكرياته ، فى شعر طويل عذب ، وهيام عنيف ، كاد ينسيه غرضه الأول (هجاء الأخطل) الذى من أجله ساق هذا الشعر الغزلى الرقيق :

بانَ الخليطُ وَلوْ طووِعْتَ ما بانَا ... وَقطَّعُوا منْ حِبالِ الوصلِ أقرَانا[1]

حَيِّ المنازِلَ إذْ لا نبْتَغى بَدَلًا ... بالدَّارِ دارًا وبالجيرَانِ جيرَانا

قدْ كنتُ فى أَثر الأَظعانِ ذَا طربٍ ... مُرَوَّعاً منْ حِذارِ البَينِ مِحْزانا[2]

يا رُبَّ مُكتئِبٍ لو قد نُعيتُ لهُ ... باكٍ وآخرُ مسرورٌ بمَنْعانا

لو تَعلمينَ الذى نَلقَى أَوَيتِ لنا ... أَوْ تَسْمعينَ إلىذِى العرْش شكوَانا

كَصَاحِبِ الموْجِ إذْ مالتْ سفينَتُه ... يَدْعو إلى اللهِ إسرارًا وإعْلانا

يا أَيُّها الرّاكبُ المزجِى مَطِيَّتَهُ ... بَلِّغْ تحيّتنا لُقِّيتَ حُملانا[3]

بلِّغْ رسائلَ عَنَّا خَفَّ محْمَلُها ... عَلَى قلائِصَ لَمْ يَحْمِلْنَ حِيرانا[4]

كَيما نقولُ إذا بلَّغتَ حاجتنا ... أَنتَ الأَمينُ إذا مُسْتأْمنٌ خانا

ياليتَ ذا القلب لاقى مَنْ يُعلِّلهُ ... أَو ساقياً فسقَاهُ اليومَ سُلوانا

أَوْ لَيتَها لمْ تُعلِّقنا علاقَتَها ... ولم يَكنْ داخلُ الحُبِّ الذى كانا

---

(١) بان : فارق : الخليط : الشريك أو الزوج .

(٢) الأظعان : جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج . والمحزان : كثير الحزن .

(٣) أزجى مطيته : ساقها . لقيت حملانا : رزقك الله ما يحملك .

(٤) القلائص : جمع قلوص وهى الناقة الطويلة القوائم الشابة القوية على السير .
والحيران : جمع حوار وهو ولد الناقة ساعة تضعه يريد أنهن لم ينتجن .

هلاَّ تحرَّجْتِ مما تفْعلينَ بنــا ... يا أَطيبَ النَّاسِ يوم الدَّجْنِ أَردانا[١]

قالتْ أَلِمّ بنَا إِن كُنتَ مُنطَلقًا ... ولا إِخالُكَ بعدَ اليوم ِ تلقانا

يا طَيْبَ هَلْ منْ متاعٍ تُمْتِعِينَ بهِ ... ضَيفاً لكمْ باكِرًا يا طيْبَ عَجلانا[٢]

ما كنتُ أَوَّلَ مشتاقٍ أَخِي طرَبٍ ... هاجَتْ لهُ غَدواتُ البَينِ أَحْزانا[٣]

يا أُمَّ عمْرٍو جزاكِ اللهُ مغْفرةً ... رُدِّى علىّ فؤادِى كالذى كانا

أَلستِ أَحسنَ مَنْ يمشى عَلَى قدمٍ ... يا أَملحَ النَّاسِ كلّ الناسِ إِنسانا

لَقدْ كتَمْتُ الهوَى حتى تَهَيَّمَنِى ... لا أَستطيعُ لهذا الحُبِّ كِتْمانا

كادَ الهوَى يومَ سُلْمَانين يَقتُلنى ... وكاد يقتلُنى يوْماً ببَيْدَانا[٤]

وكادَ يومَ لِوَا حَوّاءَ يقتلُنى ... لوكنتُ من زَفرَاتِ البَيْنِ قُرْحانا[٥]

لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ كان يحسِبُكم ... إِلاَّ عَلَى العَهدِ حَتى كان ما كانا

مِنْ حُبِّكمْ فاعْلمى لِلْحُبِّ منزلةً ... نَهْوَى أميرَكمُ لوْ كان يَهوانا[٦]

لا بارَكَ اللهُ فى الدُّنيا إِذا انْقَطَعتْ ... أَسبابُ دُنْياكِ من أَسْبابِ دُنيانا[٧]

أَبُدِّلَ اللَّيْلُ لا تَسْرى كواكبُهُ ... أَمْ طالَ حتَّى حسِبْتُ النَّجْمَ حيرَانا

إِنَّ العُيونَ التى فى طَرْفِها مرضٌ ... قَتَلننا ثم لم يُحْيينَ قَتلانا

---

(١) الدجن : الغيم والمطر . ويشير بطيب أردانها يوم المطر إلى أنها لا تخرج من بيتها . والأردان : جمع ردن وهو طرف الثوب .

(٢) يا طيب : أى يا طيبة وحذف التاء على الترخيم . وعجلان : عجول وهى صفة لضيف .

(٣) الطرب : هنا بمعنى الحزن وهو من الأضداد .

(٤) سلمانين : موضع . بيدان : ماء لبنى جعفر .

(٥) القرحان : يقال أنت قرحان من الأمر وقراحى خارج ، ويطلق كذلك على الخلى ومن لم يشهد الحرب ومن مسه القروح . اللوا : منقطع الرمل . وحواء : ماء من نواحى اليمامة .

(٦) الأمير : القيم .

(٧) أسباب : حبال ، والمراد بها أواصر الصلة بين المحبين .

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لاحَرَاكَ به وهُنَّ أَضعفُ خَلقِ اللهِ إنسانا[١]

يا رُبَّ غابطنا لوْ كان يطلُبكمُ لَاقى مُباعَدَةً منكمْ وحِرْمانا

طارَ الفؤادُ مع الخَوْدِ التى طرقَتْ فى النوم طيِّبةَ الأَعطافِ مِبْدانا[٢]

مثلوجَةَ الرِّيقِ بعدَ النوْمِ واضعةً عن ذى مَثَانٍ تمُجُّ المسكَ وَالبانا[٣]

تَسْتافُ بالعَنْبر الهندىِّ قاطعةً دَمَّ الضَّجيع فلا دُنْيا كدُنيانا[٤]

بِتْنا نَرَانا كأَنا مالكونَ لنا يا لَيْتَها صدَّقَتْ بالحقِّ رؤيانا

قالَتْ تَعزَّ فإنَّ القومَ قد جَعلوا دُونَ الزِّيارةِ أَبْواباً وخُزَّانا

لمّا تبيَّنْتُ أَنْ قد حِيلَ دُونَهمُ ظَلَّتْ عساكِرُ مثلُ المَوْتِ تَغشانا[٥]

يا حَبّذَا جَبلُ الرَّيَّان من جَبلٍ وَحَبَّذَا ساكِنُ الرَّيانِ مَنْ كانا

وحَبِّذَا نَفَحَاتٌ من يمَانِيَةٍ تأْتيكَ منْ قِبَلِ الرَّيَّانِ أَحيانا[٦]

هبَّتْ شَمالاً فَذِكْرَى ما ذَكَرْتُكمُ عِنْدَ الصَّفَاةِ التى شَرْقِىَّ حَوْرَانا[٧]

هلْ يَرْجِعَنَّ ولَيسَ الدَّهْرُ مُرْتجعاً عيشٌ بها طالما احْلَوْلَى وَما لَانا

أَزْمانَ يَدْعُونَنى الشيطانَ منْ غزَلِى وكُنَّ يَهْوَيْنَنِى إذْ كنْتُ شَيطانا

---

(١) روى : أركاناً وهى الجوانب .

(٢) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والطرق : الإتيان بالليل . المبدان : طيبة البدن .

(٣) المثانى : القرون المثنية بعضها على بعض وهى ذوائب الشعر .

(٤) استاف : اشتم .

(٥) العساكر : الظلمة والشدة .

(٦) نفحات : هبات الريح ووقعاتها . والريان : جبل فى ديار طيء غزير الماء . واليمانية : رياح الجنوب . وقيل الريان : جهته .

(٧) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت . وحوران : دمشق على التوسع وهى إقليم على الجانب الآخر من نهر الأردن . وجبل حوران يسمى اليوم جبل الدروز نسبه إلى سكانه الحاليين وهو أعلى جبل فى إقليم شرق الأردن إذ يبلغ ارتفاعه ستة آلاف قدم .

بان الشباب

قال يتحسر على ما مضى من أيام الهوى والشباب :

ما لِلْمنَازِلِ لا يُجِبْنَ حَزِينا ... أَصَمِمْنَ أَمْ قَدُمَ المَدَى فَبَلِينا [(١)]

قَفْرًا تَقَادَمَ عهدُهُنَّ على البِلَى ... فَلَبِثْنَ فى عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينا

وَتَرَى العَواذلَ يبتَدِرْنَ مَلامَتِى ... وَإذا أَرَدْنَ سِوَى هوَاى عُصِينا [(٢)]

بَكَرَ العواذِلُ بالمَلامَةِ بَعْدَ ما ... قَطعَ الخليطُ بساجِرٍ لِيَبِينا [(٣)]

أَمْسيْنَ إذْ بانَ الشَّبابُ صَوَادِفاً ... لَيْتَ اللَّيالِىَ قبلَ ذاكَ فَنِينا [(٤)]

إن الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غادَرُوا ... وشَلاً بِعَيْنِكَ ما يزالُ مَعِينا [(٥)]

غَيَّضْنَ من عَبَرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِى ... ماذا لَقِيتَ مِنَ الهوى وَلَقِينا [(٦)]

وَلقدْ تَسَقَّطَنِى الوُشاةُ فَصَادفوا ... حَصِرًا بسِرِّكِ يا أُمَيمُ ضَنينا [(٧)]

رحيل أم ناجية

من أبياته الرقيقة فى فراق الحبيب قوله من قصيدة يرد بها على الفرزدق :

يا أمّ ناجيةَ السلامُ عَليكمُ ... قَبلَ الرّوَاحِ وَقبلَ لوْمِ العُذلِ [(٨)]

---

(١) أصممن : هل أصيبت بالصمم .

(٢) العواذل : اللائمات . ويبتدرن : يسرعن .

(٣) الخليط : الشريك أو الزوج .

(٤) صوادف : معرضات .

(٥) الوشل : الدمع . معيناً : جارياً .

(٦) غيضن الدمع : حبسنه.

(٧) الحصر بالسر : البخيل به كالضنين .

(٨) وحين قدم جرير المدينة أقبل عليه الشعراء ومعهم أشعب ولم ينصرف معهم ، فقال له جرير : أراك قبيح الوجه ، لئيم الحسب ، ففيم قعودك وقد خرج الناس . قال : لم يدخل عليك أحد أنفع لك منى ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنى آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتى . قال جرير : فقل . فاندفع أشعب يتغنى « يا أم ناجية . . . فطرب جرير لغنائه وأحسن إليه. وروى يا أخت ناجية ، وقبل الرحيل أو قبل الفراق .

وَإذا غَدَوْتَ فَباكَرَتْكِ تَحيَّةٌ ... سَبَقتْ غُدُوّ الشّاحِجاتِ الحُجَّلِ[١]

لَو كنتُ أَعْلَمُ أنَ آخِرِ عهدِكم ... يومُ الرَّحِيلِ فَعلتُ ما لَمْ أَفعَلِ

أَو كنتُ أَرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجِلٍ ... لَقَنَعْتُ أَوْ لَسَأَلْتُ ما لَمْ يُسْأَلِ[٢]

(ب) الرثاء :

الجَوْساءُ[٣]

ومن جيد شعره مرثيته امرأته أم حزرة خالدة بنت سعد ، ولجودتها ناح بها النائحون على هوالك الفرزدق ، وسارت أبياتها بين البلاد ، فسماها جرير الجوساء ، وفيها تبدو عذوبة نفسه ، وشجو أنينه ، وتأثره بآى الذكر الحكيم !

لَوْلا الحَياءُ لَعادَنى استعبْارُ ... وَلَزُرْتُ قَبرَكِ وَالحَبيبُ يُزَار[٤]

ولقدْ نَظرْتُ وَما تَمتُّعُ نَظْرَةٍ ... فى اللَّحْدِ حيث تَمكَّنَ المِحْفارُ

فجزَاكِ رَبُّكِ فى عَشيركِ نظرَةً ... وَسَقى صداكِ مُجَلْجِلٌ مِدْرَارُ[٥]

وَلَّهتِ قَلْبِى إذ عَلتْنى كَبْرَةٌ ... وَذَوُو التَمائم من بَنِيكِ صِغارُ[٦]

أَرْعَى النُّجومَ وَقد مَضتْ غَوْرِيّةً ... عُصَبُ النجومِ كأَنهنَّ صُوَارُ[٧]

---

(١) روى : سبقت سروح . والشاحجات : الغربان تشح فى صياحها .

(٢) روى : أحذر فجع بين . وشك البين : قرب الفراق .

(٣) وفى رواية « الحوساء » ولعل الروايتين صحيحتان ؛ فالجوس والحوس : التردد والطواف ، وقد قرئ قوله تعالى : « فجاسوا خلال الديار » بالجيم والحاء ، وقالوا جاسوا وحاسوا بمعنى واحد يذهبون ويجيئون.

(٤) وروى : لهاجنى . والاستعبار : جريان الدمع من العين .

(٥) الصدى : العطش أو جثمان الميت وعظامه . ومجلجل مدرار : سحابة ذات رعد ومطر كثير .

(٦) الوله : ذهاب العقل واختلاطه. والتمائم : العوذ والرقى. وذوو التمائم : كناية عن الأطفال المعلقة التمائم فى أعناقهم .

(٧) الغورية : النجوم التى تأخذ نحو الغرب للغروب والسقوط . والعصب : الجماعات . والصوار : قطيع البقر الوحشى .

عَمِرَتْ مُكرّمَةَ المَسَاكِ وفارَقَتْ ... ما مَسّها صَلَفٌ ولا إقتارُ [١]

فسقى صَدَى جدَثٍ ببُرْقَةِ ضَاحِكٍ ... هَزِمٌ أجشُّ وَدِيمةٌ مِدْرَارُ [٢]

هَزِمٌ أَجَشُّ إذا اسْتَحَارَ بِبَلْدَةٍ ... فَكَأَنَّما بِجِوائها الأَنْهارُ [٣]

مُتَراكِبٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيضُهُ ... كالبُلْقِ تحتَ بُطُونِها الأَمْهارُ [٤]

كانَتْ مُكَرَّمَةَ العَشيرِ ولم يكُنْ ... يَخْشَى غَوائلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ [٥]

وَلقدْ أَرَاكِ كُسِيتِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ ... وَمَعَ الجَمالِ سَكينةٌ وَوَقَارُ

وَالرِّيحُ طَيِّبَةٌ إذا اسْتَقْبلْتِها ... والعِرْضُ لادَنِسٌ ولا خَوّارُ [٦]

وَإذا سَرَيْتُ رأيْتُ نَارَكِ نَوَّرَتْ ... وَجْهاً أَغَرَّ يَزِينُهُ الإسفَارُ [٧]

كانتْ إذا هَجَرَ الخَليلُ فِراشَها ... خُزِنَ الحَديثُ وَعَفَّتِ الأَسرارُ [٨]

صَلَّى المَلائِكةُ الَّذينَ تُخيِّرُوا ... والطَّيِّبُونَ عَليكِ وَالأَبْرارُ

وَعَليكِ مِنْ صَلواتِ رَبِّكِ كلَّمَا ... نَصَبَ الحجيجُ مُلَبِّدِينَ وَغارُوا [٩]

---

(١) مكرمة المساك : عزيزة العشرة الزوجية . وروى ما شفها صلف والصلف : مجافاة الظرف أو بغض الرجل لزوجه .

(٢) الجدث : القبر . الضاحك : نقب بالجبل . هزم أجش : صوت الرعد فيه بحة لشدته . وديمة مدرار : سحابة ، ممطرة .

(٣) الجواء : ما اتسع من الأودية .

(٤) روى متراكم . والزجل : صوت الرعد . والوميض : اللمعان . والفرس الأبلق ما خالطه سواد وبياض . والأمهار : صغار الفرس .

(٥) العشير : الزوج . والغوائل : الدواهي .

(٦) طيبة الشيم : نقية العرض .

(٧) السرى : السير بالليل . والوجه الأغر : المشرق الأبيض الجميل . وأسفر وجهه حسناً : أشرق .

(٨) الحليل : الزوج ، وفى رواية الخليل وفى أخرى الحبيب . وهجر الحليل فراشها بسبب غيابه عنها . وخزن الحديث : لا تحدث أحداً بريبة – أو إن هجرها الحليل مغاضباً لا تبوح بالأسرار ، فليس عندها إلا العفاف .

(٩) شبح الحجيج : رفعوا أكفهم بالتلبية والدعاء .

يا نظْرَةً لكِ يَوْمَ هاجتْ عَبرَةً ... مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ بالنُّمَيْرةِ دَارُ

وَكَأَنَّ منزلَةً لهَا بجُلَاجِلٍ ... وَحْيُ الزَّبُورِ تَخُطُّهُ الأَحْبارُ(١)

لا تُكْثِرَنَّ إذا جَعَلْتَ تلُومُنى ... لا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الإِكْثارُ

كانَ الخَلِيطُ هُمُ الخَليطَ فأَصْبحوا ... مُتَبَدِّلينَ وبالدِّيارِ ديارُ

لا يَلْبَثُ القُرَنَاءُ أَن يتَفَرَّقُوا ... ليلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَنَهارُ(٢)

كيف العزاءُ . . . . ؟

ومن المراثى التى كان يرددها بشار بن برد ، ما بكى به جرير ابنه سوادة ، حين مات بالشام وكان به معجباً :

قَالُوا نَصِيبَكَ مِنْ أَجْرٍ! فقُلْتُ لهم ... كَيْفَ العَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبالِى(٣)

فَارقْتَنى حينَ كفَّ الدَّهرُ مِنْ بَصَرِى ... وحينَ صِرْتُ كعَظْمِ الرِّمَّةِ البَالى(٤)

أَمْسَى سوادَةُ يَجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوْقَ المَرْبَإِ العَالِى(٥)

قد كُنْتُ أَعْرِفُه مِنِّى إذا غَلِقَتْ ... رُهْنُ الجِيَادِ وَمَدَّ الغَايَةَ الغَالِى(٦)

---

(١) روى : تجده الأحبار . وجلاجل : موضع . والأحبار : جمع حبر : رئيس الكهنة عند اليهود وعند النصارى كل رئيس فى رؤساء الدين والحبر الأعظم : خلف السيد المسيح .

(٢) روى : لا يلبث الأحباب .

(٣) نصيبك : منصوب بفعل محذوف تقديره أحرز . العزاء : الصبر عند فقد العزيز . الأشبال جمع شبل : وهو ولد الأسد إذا أدرك الصيد واستمر مريره .

(٤) يروى : فارقنى . كف الدهر من بصرى : ذهب ببعضه فغض منه وأضعفه ، ولم يرد العمى . الرمة : ما يبقى من الإنسان بعد موته . والمعنى : يتحسر على فراق ولده فى شيخوخته وضعفه .

(٥) يجلو مقلتى لحم : أراد : يجلى بمقلتى لحم من جلى البازى ببصره إذا آنس الصيد فرفع طرفه ورأسه . والمقلة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض . والبازى : من جوارح الطير كالنسر والصقر . ويصرصر : يصوت . لحم : يشتهى اللحم . المربأ العالى : منارة عالية يشرف منها البازى على صيده .

(٦) يريد : أعرفه من نفسى ، فهو يشبهنى فى شدتى وصرامتى ودهائى . وغلق الرهن : بقى فى يد المرتهن لا يفك . والرهن جمع رهان والرهان جمع رهن : وهو ما وضع عند الإنسان لينوب مناب ما أخذ منه ، ومنه رهان الخيل وهو ما يدفعه المتراهنون على السباق . والغاية للشىء : مداه ومنتهاه . والغالى : الذى يأخذ قوسه وسهمه ، فيغالى فى قذف السهم .

إنَّ الثَّوِىّ بِذِى الزَّيْتُونِ ،فَاحْتَسِبِى ... قَدْ أَسرَعَ اليومَ فى عَقْلِي وفى حَالِي(١)

إلاَّ تكُنْ لك بالدَّيْرَيْنِ مُعْوِلَةٌ ... فَرُبَّ باكِيةٍ بِالرَّمْلِ مِعْوَالِ(٢)

كَأُمِّ بَوٍّ عَجُولٍ عِنْدَ مَعْهَدِهِ ... حَنَّتْ إلى جَلَدٍ منه وَأَوْصَالِ(٣)

حَتَّى إذَا عَرَفَتْ أَنْ لاَ حَيَاةَ بِهِ ... رَدَّتْ هَمَاهِمَ حَرَّى الجوْفِ مِثْكالِ(٤)

زَادَتْ عَلَى وَجْدِهَا وَجْدًا ، وإنْ رَجَعَتْ ... فى الصَّدْرِ مِنْهَا خُطوبٌ ذاتُ بَلْبَالِ(٥)

انهمالُ الدمْع

قال يرثى قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وهى من مختارات أبى تمام فى حماسته :

وبَاكِيَةٍ مِنْ نَأْىِ قَيْسٍ وقَدْ نَأَتْ ... بِقَيْسٍ نَوَى بَيْن طَوِيل بِعَادُهَا(٦)

---

(١) الثوى : المقيم فى قبره . وذو الزيتون : الشام . احتسب ولده : صبر على المصيبة طلباً للأجر . يقول لنفسه اصبرى قد أسرع فى البلاء وأثر فى عقلى وحالى .

(٢) الديرين : بدمشق ؛ دير صليبا وبجانبه دير النساء . بالرمل : بديار تميم . معوال : شديدة العويل والبكاء ويقصد أمه ونساءها .

(٣) البَوُّ : ولد الناقة ، أو جلد حوارها يحشى تبناً لتعطف عليه إذا مات ولدها فتدر . والعجول من النساء والإبل : الوالدة التى فقدت ولدها ، فهى تعجل فى جيئتها وذهابها جزعاً عليه . المعهد : الموضع الذى كانت تعهده فيه . الجلد : الجلد الذى يكسو عظامه . الأوصال : الأعضاء ، ومجتمع العظام كلها .

(٤) ردت : رددت ورجعت . والهماهم : جمع همهمة ، وهى الصوت المردد فى الصدور من الهم والحزن . وحرى الجوف : احترق كبدها من حرارة الحزن . امرأة ثكلى ، وثكول ، وثاكل : فقدت ولدها . والمثكال : الفاقدة التى أحرقها الفقد .

(٥) زادت على وجدها وجداً : ازداد جزع أمه واشتد . والوجد : الحزن الشديد على من تحب . البلبال : البرجاء فى الصدر ، وشدة الكرب والغم والوساوس .

(٦) النأى : البعد . والمعنى : ورب امرأة تبكى على فراق قيس ، وقد طرحته النوى بمكان لا يرجى له منه الإياب .

أَظُنُّ انْهِمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهٍ ... عَنِ العَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا[١]

وَحُقَّ لِقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى ... وَأَنْ تُعْقَرَ الْوَجْنَاءُ أَنْ خَفَّ زادُها[٢]

الشَّمس الباكية

قال يرثى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، خير من أناب إلى الله ، ورعى حقوقه ، وأقام حدوده ، وأدى الأمانة العظمى صابراً ، فحزنت الدنيا لوفاته ، وبكت الشمس لفقده :

تنْعَى النُّعَاةُ أَمِيرَ المُؤمِنينَ لَنَا ... يَا خَيْرَ من حَجَّ بَيْتَ اللهِ واعْتَمرَا

حُمِّلْتَ أَمْرًا عَظِيماً فَاصْطَبَرْتَ لَهُ ... وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللهِ يَا عُمَرَا[٣]

فَالشَّمْس طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ ... تَبْكِى عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيلِ والقمرَا[٤]

أَشْجى تميماً موتُ الفرزدق

لما مات الفرزدق رثاه جرير ورفعه إلى منزلة ، لو رفعه إليها حيا لكان أسعد الناس حيث جعله سيد قومه وعشيرته ، وعماد تميم كلها ولسانها الناطق ، وأنه واصل الأرحام وكافل الأيتام ومطلق الأسرى ومتحمل الديات ، وأنه الذى كانت تفتح أمامه حصون الجبابرة وأبواب الملوك :

لعَمْرى لَقد أَشجَى تَميماً وَهدَّها ... عَلَى نَكباتِ الدهرِ مَوْتُ الفَرَزْدَقِ[٥]

عَشِيَّةَ راحُوا لِلْفِراقِ بِنَعشهِ ... إلى جَدَث فى هُوَّةِ الأَرْضِ مُعمَقِ[٦]

---

(١) منته : منقطع . والمعنى : أظن وأنا صادق الظن أنه لا ينقطع الدمع من العين إلا بعد ذهاب سوادها على إنسانها .

(٢) العقر : الجرح . والوجناء : الناقة الشديدة أو العظيمة الوجنتين . يريد أنه لا خير بعده فى الحياة ، وحق لقيس أن يطمع العدو فى حماه لذهاب حاميه ، وأن تعقر الوجناء ، لقلة الزاد ، إذ لا خير فى شىء ، ولا صاحب له .

(٣) عمرا : نصب على الندبة ، أراد : يا عمراه .

(٤) المعنى : أنها طالعه تبكى عليك ، ولم تكسف نور النجوم ولا نور القمر ، لأنها خاشعة حزينة باكية ضعيفة الضوء . ويجوز أن يكون نجوم الليل والقمر أراد بها الظرف : يقول : تبكى الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر ، كقولك : تبكى عليك الشهر والدهر .

(٥) لعمرى : قسم بالحياة واليمين .

(٦) الجدث : القبر . معمق : عميق .

لَقَدْ غادرُوا فِى اللَّحْدِ مَنْ كانَ يَنْتَمِى ... إلى كلِّ نَجْمٍ فِى السَّماءِ مُحَلِّقِ[١]

ثَوَى حَاملُ الأَثْقالِ عَن كلِّ مُغْرَم ... وَدامِغُ شَيطانِ الغَشُومِ السَّمَلَّقِ[٢]

عِمَـادُ تَمِيم كلها وَلِسَانُهَا ... وناطِقُها البذَّاخُ فى كل مَنْطِقِ[٣]

فَمَنْ لِذَوِى الأَرحام بَعْدَ ابْنِ غالِبٍ ... لِجَارٍ وَعانٍ فى السَّلاسِلِ مُوثَق[٤]

ومَنْ لِيَتِيم بَعدَ موتِ ابْنِ غالبٍ ... وأُمِّ عِيالٍ ساغِبينَ وَدَرْدَق[٥]

ومَن يطلقُ الأَسرَى ومَن يحقنُ الدِّما ... نَداهُ وَيشْفِى صَدْرَحرَّانَ مُحْتَقِ[٦]

وكم من دمٍ غَالٍ تَحَمَّلَ ثِقلَهُ ... وكانَ حَمُولاً فى وفاءٍ ومَصْدَق[٧]

وكم حِصْنِ جبَّارٍ هُمَامٍ وسُوقةٍ ... إذا ما أَتى أَبوابهُ لم تُغْـلقِ[٨]

تفتَّحُ أَبوابُ الملوكِ لِوجْهِهِ ... بغَيْر حِجاب دونه أَوْ تَملُّقِ[٩]

لِتَبْكِ عليهِ الإِنْسُ والجنُّ إِذ ثَوَى ... فَتَى مُضَرٍ فى كلِّ غَرْبٍ ومَشرقِ

فَتًى عاشَ يَبْنى المَجْدَ تِسعِينَ حِجةً ... وَكانَ إلى الخَيْراتِ والمجدِ يَرْتَقى[١٠]

فما ماتَ حَتَّى لم يُخَلِّفْ وَراءَهُ ... بِحيَّةِ وادٍ صَـولةً غيرَ مُصْعَقِ

---

(١) تركوا فى تلك الحفرة نجماً عالياً : يريد الفقيد .

(٢) ثوى : أقام . حامل الأثقال . متحمل المغارم والديات .

(٣) البذاخ : الهدار الذى تخرج شقشقته .

(٤) العانى : الأسير ، والموثق : المقيد .

(٥) ساغب : جوعان : دردق : أطفال .

(٦) محنق : مغيظ .

(٧) وفاء مصدق : وفياً صادقاً .

(٨) فتحت أمامه حصون الجبابرة والسوقة على السواء .

(٩) وفتحت له أبواب الملوك دون ملق منه لهم لمنزلته ومكانته فى نفوسهم .

(١٠) تسعين حجة : تسعين سنة : يرتقى : يصعد ويعلو.

(ﺣ) الفخر والحماسة :

صفَّدْنا الملوك . . .

يفخر بأنهم فرسان نزال ، وشجعان قتال ، ضرابون بالسيوف ، خواضون للمعارك ، قراهم حميد ، وجانبهم منيع ، وجارهم عزيز ، يأسرون الملوك ، ويقودون الجيوش ، ويحمون الثغور ، لهم أشهر الأيام ، ومنهم أظهر الفرسان :

يرَى المتعــبِّدون عَلَىَّ دُونى حِياضَ الموْتِ واللُّجَجَ الغِمارَا[١]
أَلَسْنا نحنُ قد عَلمَتْ مَعَدٌّ غَداةَ الرَّوْعِ أَجْدَرَ أَن نَغارَا[٢]
وَأَضْرَبَ بالسُّيُوفِ إِذَا تَلاَقَتْ هَوادِى الخيلِ صادِيَةً حِرارَا[٣]
وأَطعنَ حينَ تختلفُ العوالى بِمأْزُولٍ إِذا ما النَّقْعُ ثارا[٤]
وأَحمدَ فى القِــرَى وأَعزَّ نصْرًا وأَمنَعَ جانباً وأَعَــزَّ جارَا
غَضِبنا يومَ طخفَةَ قد عَلِمتُمْ فَصَفَّدْنا الملوكَ بِها اعتسارَا[٥]
فَوارِسُنا عُتَــيْبَةُ وَابْنُ سَعدٍ وقُوَّادُ المقانِبِ حَيْثُ سارَا[٦]

---

(١) المتعبدون : المتغيظون ، وروى : المتعيدون : أى المعتدون الطاغون .

(٢) الروع : الفزع أو الحرب .

(٣) هوادى الخيل : أعناقها . والصادية الحرار : العطاش .

(٤) روى : وأصبر . والعوالى : جمع عالية والعالية ـ أعلى الرمح . ومأزول : مكان ضيق . والنقع : الغبار .

(٥) روى : اقتسار . وصفدنا : أسرنا . وقصة يوم طخفة : أن الرفادة كانت لبنى يربوع ، وأرادها بنو مجاشع ، لصغروارثها من عتاب بن رياح اليربرعى ، ووافقهم الملك المنذر بن ماء السماء ، فغضب بنو يربوع ، واعتصموا بشعب حصين بطخفة ، حتى هزموا بنى مجاشع وجيوش المنذر ، وأسروا أخاه حساناً وابنه قابوس وجذوا ناصيته ، فنزل الملك على رأيهم ، وصالحهم على أن تعود الرفادة إليهم .

(٦) عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، وابن سعد : هوجزءبن سعد الرياحى . والمقانب : الجيوش . والمراد بقواد المناقب : المنهال بن عصمة .

وَمِنَّــا المَعْقِــلانِ وعَبدُ قَيْسٍ وَفَارِسُنا الَّذِى مَنعَ الذِّمارَا[١]
ونحنُ المُوقدُونَ بِكلِّ ثَغْرٍ يُخافُ بِهِ العَدوُّ عليكَ نارَا

تفجيرُ قَتام الحربِ

قال يفخر بقسوة هجائه ، ويعتز بسطوة قومه ، ونباهة شأنهم ، وقوة جيوشهم ، وشجاعة فرسانهم ، وبأنهم يفجرون قتام غبار الحرب ، ويعلون عماد بناء المجد . وقد مهد لهذا الفخر ، بتحقير الفرزدق وباطل ما يفخر به :

إنى لَتُحْرِقُ من قَصَدْتُ لِشَتْمهِ نارِى ويَلْحَقُ بالغُوَاةِ سُعارِى[٢]
تَبًّا لِفَخْرِكَ بِالضَّلالِ وَلَمْ يزَلْ ثوبَا أَبيكَ مُدنَّسَينِ بِعار[٣]
ماذا تقولُ وقد علوْتُ عليكُمُ وَالمسلمونَ بما أَقولُ قَوارِى[٤]
وإذا سأَلتَ قضى القُضَاةُ عليكمُ وَإذا افتخرتَ علا عليكَ فخارِى
فَأَنا النهارُ علا عليكَ بِضَوْئِهِ واللَّيلُ يَقبِضُ بَسْطَةَ الأَبصار
إنَّا لَنَرْبَعُ بِالخميسِ ترى لهُ رَهَجاً ونَضْرِبُ قَوْنَس الجَبَّارِ[٥]
أَنَّى لِقومكَ مثلَ عدْوَةِ خيلِنَا بِالشِّعْبِ يومَ مُجَزَّلِ الأَمْرَارِ[٦]
قَوْمِى الذين يَزِيدُ سَمعِى ذكرُهُمْ سَمْعاً وكانَ بِضوئِهِمْ إبصارِى

---

(١) المعقلان : معقل بن عبد قيس الرياحى ، وأخوه بشر . والفارس الذى منع الذمار : عتاب بن رياح .

(٢) السعار : شدة الحر .

(٣) تبًّا : هلاكاً وخسراناً .

(٤) قوار : يتبعون أفعال الناس ويشهدون بالحق .

(٥) ربع : أخذ ربع الغنيمة . والخميس : الجيش من خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق . والرهج : الغبار . وقونس الجبار : أعلى رأسه .

(٦) الشعب : جبل . قصة يوم مجزل الأمرار : نزلت بكر بن وائل بالأمرار ، فسار إليهم الحارث بن يزيد ، وكانت فيهم جارية من بنى شيبان فرأت من بعيد رجلا متنكباً قوساً ، فقالت : يا أبت ! إنى رأيت متن سيف أو صفحة قوس ، فأنذر قومه ، فقالوا : ما نبه ابنتك فى هذه الساعة إلا أنها عاشق ، فخجل وارتحل ، وأصبحوا نهبة لبنى سعد يقتلونهم ويسبون نساءهم .

والمُورِدُونَ عَلَى الأَسِنَّةِ قُرَّحاً ... حُمرًا مساحِلُهُن غيرَ مِهارِ[١]
إنِّى لَتُعْرَفُ فى الثُّغُورِ فَوارِسِى ... وَيُفَرِّجُونَ قَتامَ كلِّ غُبارِ[٢]
تحن البناةُ دعائماً وَسَوارِياً ... يَعْلُونَ كلَّ دَعائِمٍ وَصَوار

غَضبة تميم

يفخر جرير فى الدماغة التى هجا بها الراعى النميرى بقومه فيقول فى معرض الفخر :

فَلا وَأَبيكَ ما لاقيتُ حيًّا ... كَيَرْبُوعٍ إذا رَفعوا العُقابَا[٣]
وَما وجدَ المُلوكُ أعزَّ مِنَّا ... وأَسرَعَ من فوارِسنَا استِلابَا
لنا تحتَ المحامِلِ سابغَاتٌ ... كَنَسْجِ الرِّيح تطَّرِدُ الحَبَابا[٤]
إذا غضِبَتْ عليك بَنُو تميمٍ ... حَسِبتَ النَّاسَ كُلَّهمُ غِضابا
أَلَسْنَا أَكْثَرَ الثَّقَلَيْنِ رَجْلاً ... بِبطنِ مِنًى وأَعظمهُ قِبَابَا[٥]
وَأَجدَرَ إن تَجاسر ثُمَّ نادى ... بِدَعْوى يَال خِنْدِفَ أَنْ يُجَابَا[٦]
لنا الْبَطْحَاءُ تُفْعِمُهَا السَّوَاقِى ... ولم يكُ سَيْلُ أَوْدِيتى شِعاباً
فما أَنتم إِذَا عدَلَتْ قُرُومى ... شقاشِقَهَا وهافَتَت اللُّعابَا[٧]

---

(١) القرّح : جمع قارح والفرس القارح الذى كملت أسنانه بعد خمس سنين . ومسحلا اللجام : حديدتان تكتنفان لحيي الفرس . حمراً مساحلهن : من الدم . والمهار : صغار الفرس .

(٢) القتام : الغبار الأسود . روى : ويفرجون قتام كل غبار .

(٣) العقاب ها هنا : الراية تحمل فى القتال ، والناس يقاتلون معها وحولها ما دامت قائمة ، فإذا سقطت انهزموا .

(٤) المحامل : حمائل السيوف . الحباب : ما تراه على الماء مثل الوشم تظهره الريح وتحركه . السابغات : الدروع الواسعة .

(٥) الثقلان : الإنس والجن . والرجل : جماعة المشاة وهم الرجالة الواحد راجل خلاف الراكب .

(٦) أجدر : أخلق . تجاسر : تطاول ثم رفع رأسه .

(٧) عدلت قرومى : مالت الفحول برءوسها ثم هدرت فى ناحية شقشقتها ، كالمتكبر الذى يميل رأسه تجبراً . هافتت اللعاب : أخرجت زبدها .

لنا حوضُ النَّبيِّ وَساقِياهُ ومن ورثَ النُّبُوَّةَ والكِتَابَا[١]
وَمِنَّا مَنْ يُجيزُ حَجيجَ جَمْعٍ وَإِنْ خَاطَبْتَ عَزَّكُمُ خِطَابَا[٢]

(د) أماديحه :

خير من ركب المطايا

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أَتصحو أَم فؤادك غيرُ صاحٍ عشيّة همَّ صحبُك بالرواح[٣]
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قالت رأَيتُ الْوَارِدينَ ذَوِى امتِياحٍ[٤]
تُعَلِّلُ وَهىَ ساغِبةٌ بنِيهَا بأَنفاسٍ من الشَّبِمِ القَرَاحِ[٥]
سأُمتاحُ البحُورَ فَجَنِّبِينِى أَذاةَ اللَّومِ وانتظرى امتياحِى[٦]
ثِقِى باللهِ ليسَ لهُ شَرِيكٌ ومِنْ عِندِ الخليفة بالنَّجاحِ[٧]
أَغِثْنِى – يا فداك أَبى وأُمِّى – بِسَيْبٍ منك إِنَّكَ ذُو ارتياحِ[٨]

---

(١) كانت الإجازة فى الجاهلية لصفوان بن شجنة بن عطارد بن عوف بن سعد بن عبد مناة ابن تميم .

(٢) يريد كرب بن صفوان كان يجيز الناس من عرفات إلى مزدلفة ، وأبو سيارة بن الأعزل يجيز من مزدلفة إلى منى وغيرهم .

(٣) تصحو : تستيقظ . الرواح : السفر مساء . وقد عاب عليه عبد الملك قبح المواجهة فى هذا المطلع وقال له : بل فؤادك أنت . وهذه إحدى سقطات جرير .

(٤) أم حزرة : زوج جرير .

(٥) تعلل : تلهى . ساغبة : جائعة . الشبم القراح : الماء البارد .

(٦) امتاح البحر . متح الماء : استقاه واستخرجه من البئر . والمراد به فى البيت العطاء الذى يناله من الخليفة المشبه بالبحر عطاء .

(٧) ثِقِى بوحدانية الله ثم بنجاح رحلتى . وهنا يتخلص الشاعر إلى المدح .

(٨) السيب العطاء ذو ارتياح : أى إلى المكارم تتحرك لها وتهش . (يا) زائدة . أو أنها حرف نداء للالتفات والمنادى محذوف .

فإنِّى قد رأَيتُ علىَّ حقًّا زيارتىَ الخليفةَ وامتِدَاحِى[١]

سأَشكُرُ إن رَدَدْتَ علىَّ رِيشى وَأَنبتَّ القوادمَ فى جَنَاحِى[٢]

أَلستُم خيرَ من ركبَ المطايا وأَندى العالَمِين بُطون راحِ[٣]

وقومٍ قد سموتَ لهم فدانُوا بِدُهْمٍ فى مُلَمْلَمَةٍ رَدَاحِ[٤]

أَبَحْتَ حِمَى تِهامةَ بعد نَجْدٍ وَما شئٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ[٥]

لكم شُمُّ الجبالِ من الرَّوَاسى وأَعظمُ سيل مُعْتَلَجِ البِطَـاحِ[٦]

دَعوْتَ المُلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ جِمَاحاً هل شُفِيتَ من الجماحِ[٧]

رَأَى الناسُ البصيرَة فَاستقامُوا وبَيَّنَتِ المِرَاضُ من الصِّحاحِ[٨]

---

(١) رأيت زيارتى للخليفة ومدحه وإشهار فضله فرض على .

(٢) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش . وضدها الخوافى : أى المختفية تحت الجناح .

(٣) المطايا : جمع مطية وهى ما يركب من الإبل والخيل . الراح : جمع راحة . بطن الكف . وقد قيل إن هذا أمدح بيت قالته العرب لأنه حوى معانى كثيرة فى لفظ قليل، فقد مدح قوم الخليفة بالغنى والترف والشجاعة والكرم والتدين فى استفهام تقريرى وأسلوب محكم ولفظ مختار .

(٤) سموت لهم : خرجت لهم محارباً . دانوا : أطاعوا وخضعوا . دهم : خيل سود . ودهم : جيش كثير . الململمة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة ضخمة .

(٥) الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه .

(٦) شم الجبال أعاليها . اعتلجت الأرض طال نبتها . واعتلجت الأمواج : التطمت وكثرت وركب بعضها بعضاً . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق .

(٧) الملحد: المائل عن الدين الطاعن فيه. أبو خُبَيْب : عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحاً : نافرين .

(٨) البصيرة هنا معناها العبرة والعظة المراض جمع مريض : الباطل والمعوج . وضده الصحيح . بينت : بمعنى تبينت .

المستبد العادلُ

بدأ جرير قصيدته فى مدح الحجاج بالنسيب، ثم وصفه بالمستبد العادل الذى قامت سياسته فى توطيد حكم الأمويين على القمع والتنكيل بالعابثين؛ فقطع دابر الفساد والنفاق وحمى النساء والحرمات ومنع الرشا والشغاب، وقضى على الفتن والشقاق، وكان بطشه بالفتاك واللصوص، وقطاع الطرق سبيل الهدى والسلام بين الناس، فسعوا مطمئنين، وحجوا بيت الله آمنين :

هاجَ الهوى لفُؤادِكَ المُهتَاجِ ... فانظر بتوضح باكرُ الأَحْدَاجِ (١)

هذا هوًى شَغَفَ الفؤاد مُبَرِّحٌ ... ونَوًى تقاذفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ (٢)

إن الغُرابَ بِمَا كرهت لمُولعٌ ... بِنوَى الأحِبَّةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ (٣)

ليت الغُراب غَداةَ يَنْعَبُ بالنَّوَى ... كان الغُرابُ مُقَطَّعَ الأَوْدَاجِ (٤)

ولقد علمتُ بأَنَّ سِرَّكِ عِندنَا ... بين الجوانِحِ مُوثَقُ الأَشْرَاجِ (٥)

ولقد رَمَيْنَكَ حين رُحْنَ بِأَعْيُنٍ ... يَنظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِى (٦)

وَبِمَنْطِقٍ شَغَفَ الفُؤَاد كأَنَّهُ ... عَسَلٌ يَجُدْن بِهِ بغير مِزاجِ (٧)

... قُلْ لِلْجَبانِ إذا تأَخَّرَ سَرْجُهُ ... هل أَنت من شَرَكِ المنِيَّةِ نَاجِى (٨)

فتعلَّقَنْ بِبَنَاتِ نَعْشٍ هارباً ... أَو بِالبُحُورِ وشِدَّةِ الأَمواجِ (٩)

---

(١) توضح : موضع ببلاد بنى يربوع . يريد هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك ، فارم بطرفك نحو توضح . والأحداج : مراكب النساء .

(٢) شغف الفؤاد : غشى الحب القلب وغطى شغافه . مبرح : معذب . والنوى : الفراق أو النية والمذهب . تقاذفها : بعدها . الخلاج الشك . والنوى الخلوج : المشكوك فيها .

(٣) تشحاج الغراب ونعيقه ونعيبه : صياحه .

(٤) الأوداج : العروق التى تقطع عند الذبح فتذهب الحياة .

(٥) شرج الحقيبة : عراها . الجوانح : الضلوع التى تلى الصدر . يريد أن السر بين الجوانح فى مكان أمين .

(٦) خلل السطور : ما بينها من فرج . السواجى : جمع ساجية : فاترة .

(٧) مزاج : مزاج الشراب ما يمزج به .

(٨) تأخر سرجه : عاقه الخوف عن شد حزام السرج : الشرك : ما ينصب للصيد .

(٩) بنات نعش : سبعة كواكب كبرى وصغرى ، وهى الدب الأكبر ، والدب الأصغر .

مَن سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عليكمُ ؟ ... أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الحجَّاجِ ؟[١]

أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاء حَفيظَةً ... إِذْ لا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ[٢]

إِن ابنَ يُوسُف فاعْلموا وتيقَّنوا ... ماضى البصيرةِ واضِحُ المِنْهاجِ

ماضٍ على الغمرَاتِ يُمضى هَمَّهُ ... والليلُ مُختلفُ الطَّرائقِ دَاجِى[٣]

منعَ الرُّشا وأَراكُمُ سُبُلَ الْهُدى ... واللِّصَّ نَكَّلَهُ عن الإدلاجِ[٤]

فاستوسِقُوا وتَبَيَّنُوا سُبلَ الْهُدى ... ودعوا النَّجِيَّ فليس حين تَنَاجِى[٥]

يا رُبَّ ناكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ ... وخِضابُ لِحْيَتِهِ دَمُ الْأَوْدَاجِ[٦]

إِنَّ العَدُوَّ إِذا رمَوْكَ رَمَيْتَهُمْ ... بِذُرَى عَمايةَ أَو بِهَضْبِ سُواجِ[٧]

وإِذا رأَيت مُنافقين تَخيَّرُوا ... سُبُلَ الضَّجَاجِ أَقمت كُلَّ ضَجَاجِ[٨]

دَاويْتَهُمْ وسَقَيْتَهُمْ مِن فِتْنةٍ ... غَبْرَاءَ ذَاتِ دَواجِنٍ وأُجَاجِ[٩]

إِنِّى لَمُرْتَقِبٌ لِمَا خَوَّفْتَنى ... وَلِنَضْلِ سَيْبِكَ يا ابنَ يُوسفَ راجِى[١٠]

ولقد كسرتَ سِنَانَ كُلِّ مُنافِقٍ ... ولقد منَعْتَ حقائب الحُجَّاجِ[١١]

---

(١) المطلع : المصعد.

(٢) الحفيظة : الحمية والغضب .

(٣) الغمرات : الشدائد . الداجى : المظلم .

(٤) نكله : صنع به صنيعاً يحذر غيره . الإدلاج : السير فى أول الليل .

(٥) استوسقوا : استقيموا . النجى : السر .

(٦) ناكث : ناقض للعهد . البيعتان : بيعة الخليفة وبيعة الحجاج .

(٧) الذرى : الأعالى . عماية وسواج : جبلان بالعالية .

(٨) الضجاج : الباطل والمشاغبة .

(٩) الأجاج : شدة الحر للنار وللحرب .

(١٠) السيب : العطاء .

(١١) جعله فى مأمن من فتك النفاق ، وخيانة قطاع الطرق .

حامى الذِّمار

ومن مدحه ليزيد بن عبد الملك قوله :

سَاسَ الخِلافَةَ حينَ قَامَ بحقها ... وحَمى الذِّمارَ فما يُضَاعُ ذِمارُ[١]
وَيزيدُ قد عَلمتْ قُرَيْشٌ أَنَّهُ ... غمرُ البحُورِ إلى العُلا سَوّارُ[٢]
وَعُرُوقُ نَبْعَتِكُمْ لها طِيبُ الثَّرَى ... والفرْعُ لا جعدٌ ولا خَوَّارُ[٣]
إنَّ الخليفةَ لِليَتامى عِصمةٌ ... وأَبو العيال يَشُفُّهُ الْإقتارُ[٤]
صلَّى القبائلُ من قريشٍ كلهمْ ... بالمَوْسِمَينِ عليكَ والانصارُ
تَرْضَى قُضاعَةُ ما قَضَيْتَ وَسَلَّمتْ ... لِرِضًى بِحُكْمِكَ حِمْيرٌ ونِزَارُ
قَيسٌ يرَوْنَكَ ما حَيِيتَ لهم حَياً ... ولآلِ خِندِفَ مُلكُكَ استِبْشارُ[٥]
وَلقد جَرَيْتَ فما أَمامكَ سابقٌ ... وَعَلى الجوالِبِ كَبْوَةٌ وغُبارُ[٦]
آلُ المُهلَّبِ فرَّطُوا فى دِينِهِمْ ... وطَغَوْا كما فعلَت ثمودُ فبارُوا[٧]

قِوامُ الدين وَالبَشر

قال يمدح عمر بن عبد العزيز ويطلب عطاءه ، فجعله قوام الدين والدنيا ، تولى الخلافة والناس فى أشد الحاجة إلى خليفة مثله . يرجون منه الخير وتخفيف البلوى . وإغاثة المكروب ، وتبديل عسرهم يسراً فهو الميمون المبارك ، يعصى الهوى . ويقطع الليل قارئاً . ليس له نظير بين الملوك ، لذا سيبق يشكره ويذكره :

قدْ طالَ قوْلى إذا ما قُمْتُ مبتَهِلاً ... يارَبِّ أَصْلحْ قِوامَ الدِّين والبشَرِ[٨]

---

(١) الذمار : كل ما تلزم حمايته .
(٢) سوار : وثاب .
(٣) الجعد : القصير . والخوار : الضعيف .
(٤) الواو هنا بمعنى حين . والإقتار : الفقر والضيق .
(٥) الحيا : المطر والخصب .
(٦) كبوة : سقطة . وجلب على فرسه صاح به من خلفه واستحثه للسبق .
(٧) باروا : هلكوا .
(٨) مبتهلا : داعياً .

إنَّا لنَرْجو إذا ما الغيثُ أَخْلَفَنا ... من الخليفةِ ما نَرْجُو من المَطَرِ [١]

نالَ الخِلافة أَوْ كانتْ لَهُ قَدَرًا ... كما أَتى ربَّهُ موسى عَلَى قَدَرِ [٢]

أَأَذْكر الجَهدَ والبَلْوى إذا نزلَتْ ... أَمْ قد كفا نى الذِى بُلِّغتَ من خَبرى [٣]

ما زِلْتُ بعدكَ فى دارٍ تَعَرَّقُنى ... قد طال بعْدك إِصْعادِى ومُنْحَدَرِى [٤]

لا ينفعُ الحاضِرُ المجهودُ بادِيَهُ ... ولا تجودُ لنا بادٍ على حضَرِ [٥]

كم بالمواسِم مِنْ شَعثاءَ أَرْمَلَةٍ ... ومن يَتيمٍ ضَعيفِ الصَّوتِ والنَّظَرِ [٦]

يَدْعوكَ دعوةَ مَلْهُوفٍ كأَنَّ بهِ ... خبْلاً مِنَ الجِنِّ أَو مَسًّا مِنَ النَّشَرِ [٧]

مِمَّنْ يُعدُّكَ تكْفِى فقْدَ والِدِهِ ... كالفرْخِ فى العُشِّ لم ينهضْ ولم يَطِرِ [٨]

فَإِن تَدَعْهُمْ فمَنْ يَرجُونَ بَعدكُمُ ... أَوْ تُنْجِ منها فقد أَنجَيْتَ مِن ضَررِ

كم قد دعوْتُك مِن دَعوَى مُخَلِّلَةٍ ... لَمَّا رأَيْتُ زمانَ النَّاسِ فى دُبُرِ [٩]

لِتَنْعَشَ اليوم رِيشى ثم تُنْهِضَنى ... وَتُنزِلَ اليُسْرَ مِنِّى موضِعَ العُسُرِ [١٠]

أَنت المبارَكُ والميمونُ سيرتُه ... تعصى الهوى وتقوم الليْلَ بالسُّوَرُ [١١]

---

(١) أخلفنا السحاب : لم ينزل علينا مطراً .

(٢) قدراً : مقدورة .

(٣) الجهد : المشقة . والبلوى: المصيبة والفقر .

(٤) تعرقنى : المراد تفقره ولا تبق له شيئاً .

(٥) البادى : ساكن البادية ، الحاضر ساكن الحضر .

(٦) المواسم : جمع موسم . مكان اجتماع الناس . وأراد الشاعر بها هنا مواسم الحج .

(٧) الخبل بسكون الباء الفساء . والنشر : جمع نشرة وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٨) نهض الطائر : بسط جناحه ليطير .

(٩) دعوى مخللة : دعوة المحتاج .

(١٠) تنعش ريشى : المراد تعطينى ما أنافى حاجة إليه .

(١١) الميمون : من اليمن وهو البركة والخير . الهوى : الميل . السور : المراد سور القرآن يتلوها ليلا للعبادة .

أَصبحْتُ لِلْمِنبَرِ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ زَيْناً وَزَيْنَ قِبابِ الْمُلْكِ والحُجرِ [١]

فما وجدّتُ لكمْ نِدًّا يعادِلُكم وماعلمْتُ لكم فى النَّاسِ مِن خَطَرِ [٢]

إنى سأَشكُرُ ما أَوْلَيْتَ مِن حَسَنٍ وخَيرُمَن نِلْتَ معرُوفاً ذَوُو الشُّكرِ [٣]

كرِيمُ العمِّ والخال

وقال يمدح هشام بن عبد الملك وهو آخر خليفة اتصل به ومدحه :

أَميرُ المؤمنين على صراطٍ إِذَا اعْوَجَّ المَوَارِدُ مُستقيمِ [٤]

أَميرَ المؤمنين جَمَعتَ ديناً وحِلماً فاصِلا لذوِى الحُلومِ [٥]

لَكَ المتخيِّرَانِ أَباً وخالاً فَأَكْرِمْ بالخُئُولةِ والعمُومِ

فَيا ابْنَ المُطْعِمِين إذا شتوْنا ويا ابن الزَّائِدِين عن الحريمِ [٦]

سَما بك خالِدٌ وأَبو هِشامٍ إلى العلْياءِ فى الحسَبِ الجسيمِ

وَتنْزِل مِن أُميَّةَ حين تلْقى شُئون الهامِ مُجْتمَعَ الصّميمِ [٧]

ترى للمسلمين عليك حقًّا كفعْلِ الوالِدِ الرَّؤُفِ الرَّحيمِ [٨]

---

(١) المعمور : الآهل بالسكان . الزين : المظهر الحسن ، والزين أيضاً ضد الشين ، والحجر : القاعات .

(٢) الند : النظير والشبيه . والخطر : المماثل .

(٣) أى أحسن من ينالهم المعروف الشاكرون .

(٤) الصراط : المنهاج الواضح .

(٥) الحلوم : واحدها الحلم : وهو الأناة والعقل .

(٦) شتونا : أجدبنا . الحريم : ما تحميه وتقاتل عنه من ديار وأعراض وأموال ونحوها .

(٧) خالد : هوخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، لأن أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان هشام بن المغيرة أجل قرشى حلماً وجوداً ، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ بعام الفيل .

(٨) رؤف : فعل مثل يقظ وحذر ، من الرأفة وهى أشد الرحمة ، وقد قرئ (إن الله رؤف بالعباد . ورءوف) .

إذا بعضُ السنينَ تعرَّقَتْنــا ... كَفَى الأَيْتامَ فقْدَ أَبِى اليتيمِ [1]

وأَنت إذا نظرتَ إلى هِشامٍ ... نظرت نِجارَ مُنْتجَبٍ كريـمِ [2]

ولِىُّ الحقِّ حين تؤمُّ حجًّا ... صفوفاً بين زمزمَ والحطيمِ [3]

تواصَتْ مِنْ تكرُّمها قريشٌ ... بِرَدِّ الخيلِ داميةَ الكلُومِ

فما الأُمُّ التى ولدت أَباكمْ ... بِمُقْرَفَةِ النِّجار ولا عَقِيمِ [4]

وما قَرْمٌ بـأَنْجبَ من أَبيكمْ ... وما خالٌ بـأَكْرَمَ من تميمِ [5]

سَما أَولادُ بَرَّةَ بنتِ مُرٍّ ... إلى العلياءِ فى الحسب العظيمِ

(هـ) متفرقات :

عتاب – شكوى – اجتماعيات

باسط خير وقابض شر

قال لقومه يعاتبهم فى قصيدة خاطب فيها أباه وجده، ممتنًّا عليهم [6] بنفسه . وقد استشهد النحاة ببعض أبياتها ، وشهد الفرزدق بجودتها [7] ، وتمثل بها يزيد بن معاوية مع أبيه ، وقد مات معاوية وهو لا يدرى إلا أنها [8] لابنه :

فإنْ لم أَجدْ فى القربِ والبعدِ حاجتى ... تَشَأَّمْتُ أَو حوَّلتُ وجهِى يَمانيا

---

(١) تعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم ، ومنه قولهم : ما تركت السنة لهم شيئاً من العظم إلا تعرقته ، والمراد أصابها جدب .

(٢) النجار : الطبع والمنبت .

(٣) حج : جمع حاج كما تقول راكب وركب وتاجر وتجر وشارب وشرب ، أو أن يكون المقصود أصحاب حج كقوله تعالى : « واسأل القرية » أى أهل القرية .

(٤) الأم التى ولدت قريشاً : برة بنت مرة كانت أم النضر بن كنانة وهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى ، وتميم بن مرة خاله .

(٥) القرم : السيد العظيم .

(٦) ابن رشيق ١ / ٣٨ .

(٧) مهذب الأغانى ٥ / ٦٦ .

(٨) نفس المرجع .

فرُدِّى جِمَالَ الحىِّ ثم تَحمَّلِى ... فَما لَكِ فيهمْ من مُقام ولا لِيَا

وإنِّى لَمَغرورٌ أُعلَّلُ بالمُنَى ... ليالِىَ أَرجو أَنَّ مالَكَ ماليا[١]

فأَنتَ أَبى ما لم تكنْ لىَ حاجةٌ ... فإِن عَرَضَت أَيقنتُ أَنْ لا أَباليا[٢]

وقائلة والدَّمعُ يَحدِرُ كُحْلَها ... أَبَعْدَ جرير تُكرمون المواليا[٣]

بأَىِّ نِجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بعدما ... قَطَعْتَ الْقُوَى من مِحمَل كان باقيا[٤]

بأَىِّ سِنانٍ تَطْعُنَ القومَ بعد ما ... نَزَعْتَ سِناناً من قَناتِك ماضيا

أَلَا لا تخافا نَبْوتى فى مُلِمَّة ... وخافا المنايا أَن تَفوتَكما بيا

أَلم أَكُ نارًا يَصْطَليها عدُوُّكُمْ ... وحِرْزًا لِمَا أَلجأْتُمُ من ورائيا[٥]

وَباسطَ خيرٍ فيكمُ بيمينِهِ ... وقابِضَ شرٍّ عَنكمُ بِشِماليا

إذا سرَّكم أَن تَمسحوا وجهَ سابِقٍ ... جَوادٍ فمدُّوا وابْسُطوا من عنانيا[٦]

وإنِّى لَعفُّ الفقرِ مُشتَرَكُ الْغِنَى ... سريعٌ - إذا لم أَرضَ دارى - انتقاليا[٧]

جرِىءُ الجَنانِ لا أَهابُ من الرَّدَى ... إذا ما جعلتُ السيفَ من عن شماليا[٨]

وليس لسيفى فى العظام* بقيَّةٌ ... ولا السيفُ أَشوى وقعةً من لِسانيا[٩]

(١) لقد غررت حين حسبت أنه لا فرق بين مالى ومالك .

(٢) فى رواية فأنت أخى . . . وأن لا أخاليا .

(٣) الموالى : بنو عمه .

(٤) النجاد : حمائل السيف .

(٥) يصطليها : يحترق بها . والحرز : الملجأ الحصين .

(٦) السابق : من الخيل الذى يسبق غيره . العنان : اللجام .

(٧) وصف نفسه بعفته فى عسره ، وإشراك غيره معه فى يسره ، وإباء الذل ، وهى مثل عليا لا تجتمع إلا لكل حر ، ولا يجمعها فى بيت واحد إلا عريق فى الشعر .

(٨) الجنان : بفتح الجيم القلب . لا أهاب من الردى : لا أخشى الهلاك .

(٩) يروى : لسانى وسيفى صارمان كلاهما ... وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة أنشدها جرير على فترات فى كل فترة بعض أبيات ثم جمعت غير مرتبة . وقد اعتمدنا فى ترتيب ما اخترناه على الأغانى والعمدة والديوان . ويقال رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله ، والشوى الأطراف .

هلاَّ غضِبْت لنا ؟

قال يعاتب بشر بن مروان أمير العراق ، حين سمح لسراقة البارقى بالتعرض لجرير :

يا صاحِبَىَّ هل الصباحُ مُنيرُ ؟ أَمْ هَلْ لِلَوم عواذلى تَفتيرُ[1]
يا بِشرُ إنكَ لم تزلْ فى نِعمَةٍ يَأْتيكَ من قِبَلِ الْعَلِىِّ بَشِيرُ
بِشرٌ أَبو مَرْوَانَ ، إن عاسَرْتَه عسِرٌ وعندَ يسارِه مَيْسورُ[2]
يا بِشرُ ، حُقَّ لِوَجهِكَ التبشيرُ هَلاَّ غَضِبْتَ لنا وأَنتَ أَميرُ[3]
قد كانَ حقُّكَ أَنْ تقولَ لبارقٍ : يا آلَ بارِقَ ، فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ ؟
إنَّ الكَرِيمَةَ يَنصُرُ الكَرَمَ ابنُها ، وابنُ اللَّئيمَةِ لِلِّئامِ نَصُورُ[4]

عتاب عَزَّة

قال يخاطب عزة فى عتاب رقيق :

هَنيئاً مَرِيئاً غَيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعَزَّةَ من أَعْراضِناما استَحَلَّتِ[5]
أَسِيئى بِنا أَو أَحْسِنى لا مَلومــةً لَدينْا وَلا مَقلِيَّةً إن تَقَلَّتِ[6]

أَين السُّكَّرُ والزَّبِيب . . . ؟

تولى سليمان بن سعد صدقات الأعراب وأعطياتهم باليمامة ، وضيق على جرير ، فقال يشكوه إلى عمر بن عبد العزيز[7] :

لقد كانَ ظَنِّى ياابنَ سَعد سَعادَةً وما الظنُّ إلا مُخطِئٌ وَمُصِيبُ

---

(١) تفتير من الفتور : وهو السكون بعد الحدة .
(٢) أبو مروان كنية بشر . اليسار : اليسر والسهولة ، وياسره : ساهله ولاينه .
(٣) كان بشر بن مروان أميراً على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة ومات بها سنة ٧٤ هـ وخلفه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفى .
(٤) الكرم : جمع كريم ، أديم وأدم وعمود وعمد .
(٥) الداء المخامر : المخالط .
(٦) لا مقلية : لا مكروهة ولا مبغضة .
(٧) الكامل للمبرد .

تركْتُ عِيالى لا فوَاكِهَ عِندهُمْ وعِندَ ابن سَعدٍ سُكَّرٌ وزَبيبُ
تَحَنَّى العِظامُ الرَّاجِفاتُ من البِلى وليس لِداءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَبِيبُ [١]
مَنَعْتَ عَطائى يا ابْنَ سَعْدٍ وإنما سَبقْتَ إِلَىَّ المَوْتَ وَهْوَ قَريبُ
فَإِنْ ترْجِعُوا رِزْقى إِلَىَّ فَإِنَّهُ مَتاعُ لَيالٍ والحَياةُ كَذُوبُ

الضيف الثقيل

وفى الأبيات التالية يكشف جرير عن نفسية الضيف الثقيل ، ويصور تصرفاته تصويراً واقعياً ، مظهراً استياءه من كثرة تردده عليه ، واختلاق الأكاذيب :

لَوْ كُنْتُ فى غُمْدانَ أَوْ فى عَمَايةٍ إِذًا لأَتَانِى مِنْ رَبيعَةَ راكِبُ [٢]
بِوادِى الحُشَيفِ أَوْ بِجُرْزَةَ أَهْلُهُ أَو الجَوْفِ طَبٌّ بِالنِّزالةِ دَارِب [٣]
يُثِيرُ الكِلابَ آخِرَ اللَّيلِ صَوْتُه كَضَبٍّ العَرادِ خَطْوُهُ مُتَقارِبُ [٤]
فَباتَ يُمَنِّينا الرَّبيعَ وَصَوْبَهُ وَسطَّرَ من لُقَّاعَةٍ وَهُوَ كاذِبُ [٥]

لا يشبعون . . . !

وقال يشكو الحاجة ، ورقة الحال ، وكثرة العيال ، ويصور البؤس تصويراً يستدر العطف ، ويستندى الأكف ، فهو يعول كثرة لا تشبع ، ولا يعتريها هلاك ، وتمشى الأم فى هم ، مغبرة الوجه ، غائرة العينين ، يتقاسم الأبناء غبوقها ، فيزداد الأنين وتفيض بالدمع العيون :

أَشكو إِليكَ فَأَشْكِنِى ذُرِّيَّةً لاَ يَشْبَعونَ وأُمُّهُمْ لا تَشْبَعُ

---

(١) الراجفات : المهتزة المضطربة .

(٢) غمدان باليمن ، وعماية بالبحرين ، ويقصد بالراكب هنا : الضيف .

(٣) الطب : الماهر الحاذق . والنزالة ككتابة : السفر . والدارب : المعتاد النزول على الناس ضيفاً .

(٤) لأنه ليس يدرى أين يقصد ، حتى تنبحه الكلاب ، فإذا نبحته قصد إليها .

(٥) أراد أنه يتحدث عن الغيث ومواقعه ، ويكذب فى ذلك حتى يأنس إليه مضيفه ورجل لقاعة : متكلم خطيب يلقع بالكلام ، ويقال : لقعه بعينه إذا أصابه بالعين .

كَثُرُوا عَلَيَّ فما يَمُوتُ كَبيرُهمْ ... حتى الحِسَابِ ولا الصَّغيرُ المُرْضَعُ

وَإذا نَظَرْتُ يَريبُنِي منْ أُمِّهِمْ ... عَينٌ مُهجَّجَةٌ وَخَدٌّ أَسْفَعُ (١)

وَإذا تَقَسَّمَتِ العِيالُ غَبُوقَهَا ... كَثُرَ الأَنينُ وَفَاضَ مِنها المَدْمَعُ (٢)

رِشْنى - فقد دخلتْ عَلَيَّ خَصاصَةٌ ... مِمَّا جَمَعْتَ وكلَّ خَيرٍ تَجْمَعُ (٣)

لجامُ الجوامح

قال أبو عبيدة : كان جرير اشترى جارية من زيد بن النحار مولى بنى حنيفة . ففركته (٤) وجعلت دمعتها لا ترقأ ، بكاء على زيد ، وحباً له . فقال جرير فى ذلك :

إذا ذَكَرَتْ زَيدًا تَرَقْرَقَ دَمْعُها ... بِمَطْرُوفَةِ العَيْنَيْنِ شَوْساءَ طامِحِ (٥)

تَبكى عَلى زَيد ولم تَلْقَ مِثْلَهُ ... بَرِيئاً منَ الحُمَّى شَديدَ الجَوَانحِ (٦)

أُعَزِّيكِ عَمَّا تَعْلَمِينَ وَقَدْ أَرى ... بعَينَيْكِ من زَيْد قَذًى غَيرَ بارحِ

فَإن تَقْصدى فالقَصْدُ مِنِّى خَلِيقَةٌ ... وَإن تَجْمَحِى تَلْقَىْ لِجَامَ الجَوامِحِ (٧)

---

(١) المهججة : الغائرة العينين . والسفع : سواد يعلو حمرة الخدين .

(٢) الغبوق : شراب العشى .

(٣) رشنى : أعطنى . الخصاصة : الفقر والحاجة .

(٤) الفرك : البغضة . وفركت المرأة زوجها : كرهته .

(٥) الشوساء : رافعة الرأس . والطامح : التى تبغى غير زوجها .

(٦) روى : ولم تر مثله صحيحاً . والمعنى : أنه شاب مجتمع صحيح ، يرضيها شديد الأضلاع والصدر .

(٧) تقصدى : ترشدى وتعتدلى . وجمحت المرأة : استعصت وغضبت وركبت هواها .قيل لجرير : ما لجام الجوامح ؟ قال : هذاك وأشار إلى سوط معلق .

قضية

نازع جرير حيا من تميم – وهم بنو حمان – فى ركية لهم[(١)]، فصاروا إلى إبراهيم بن على باليمامة، يتحاكمون إليه، فبدأ جرير يبسط دعواه، ويؤيدها بدفاع شعرى رجزى محكم؛ فاستعاذ بالحاكم العادل من ظلم خصمه المعتدى، وأبان أن تلك البئر موضع الخصومة ملك له ولقومه، فقد جهدوا فى حفرها بأرض صلبة، واستشهد بالثقات العدول من جيرانه، حتى حمل خصمه على الاعتراف له اعترافاً ضمنياً فيما يدعى من غير قصد، فحكم لجرير بالبئر، وانتصر على الخصم. قال:

أَعوذُ بالأَمير غَيرِ الجَبَّارْ — من ظلم حِمَّانَ وتَحْوِيل الدَّارْ[(٢)]
ما كانَ قَبْلَ حَفرِنا من مِحْفارْ — وضَرْبِىَ المِنْقَارَ بعد المِنْقارْ[(٣)]
فى جبلٍ أَصَمَّ غَيْر خَوَّارْ — يَصِيحُ بِالجُبِّ صِيَاحَ الصَّرَّارْ[(٤)]
لَهُ صَهيلٌ كصَهيلِ الأَمْهارْ — فاسْأَلْ بَنِى صَحْبٍ ورَهْطَ الجرَّار[(٥)]
والسَّلَمِيِّينَ العِظامَ الأَخطارْ — والجارُ قد يُخبرُ عن دار الجارْ[(٦)]

---

(١) طبقات فحول الشعراء والأغانى. والركية: البئر وجمعها ركى وركايا.

(٢) تحويل الدار: نقلها من بنى كليب إلى أنفسهم عدواناً. الأمير: الحاكم الذى احتكموا إليه.

(٣) المحفار: ما يحفر به. المنقار: حديدة كالفأس مستديرة لها خلف كالمعول تنقر به الحجارة والأرض الصلبة.

(٤) الجبل الأصم: الصلب المصمت. الخوار: الضعيف اللين. الجب: البئر. والصرار: نوع من الخنافس يصوت من أول الليل إلى الصبح، أو الطائر الذى يصيح أشد الصياح كالبازى وغيره، يصف وقع المنقار فى الصخر، فيسمع له صوت ممتد كالصرير.

(٥) الأمهار: جمع مهر وهو ولد الفرس. بنو صحب: قبيلة من باهلة.

(٦) السلميون: أولاد سلمة الخير بن قشير. الأخطار: جمع خطر وهو القدر والمنزلة الرفيعة.

فرد عليه خصمه الحمانى بقوله :

ما لكُلَيْبٍ من حِمًى وَلا دارْ غيرُ مُقامِ أُتُنٍ وَأَعْيارْ
قُعْسِ الظُّهور دامياتِ الأَثفَارْ[١]

فقال جرير : فمن مقامهن — جعلت فداك — أجادل . فقال ابن عدى للحمانى : قد أقررت لخصمك ، وحكم لجرير .

٣ — الشاعر الهجاءُ

(ا) التحامه بِالشعراءِ وهجاءُ غير قومه :

سَليطُ اللُّؤْم

تنازع بنو جحيش مع بنى الخطفى فى غدير بالقاع ، وجعلت بنو الخطفى تهجوهم ، وكانت بنو جحيش مفحمين ، لا يقولون الشعر ، فاستعانوا بغسان بن ذهيل السليطى ، فهجا بنى الخطفى قوم جرير ، والناس حوله يسمعون ، فقال جرير : احملونى على بعير ، فجاءوه بقعود ، فركبه وأقبل حتى أشرف على غسان والجماعة ، فرجز بهم ، وهو أول شعر قاله :

لاَ تَحْسِبَنِّى عن سَليطٍ غافِلاَ إن تَعْشُ لَيْلاً بسليطٍ نازلاَ[٢]
لا تَلْقَ أَقْرَاناً ولا صَواهلاَ ولا قِرًى للنَّازِلينَ عاجِلا[٣]
أَبْلغْ سَليطَ اللُّؤْمِ خَبْلاً خابلاَ أَبْلغْ أَبا قَيسٍ وأَبلغْ ماسِلا[٤]
والضُّلعَ من ثُمامَةَ الحَواقِلاَ[٥]

---

(١) الأتن : جمع أتان وهى الحمارة . الأعيار : جمع عير وهو الحمار . قعس : جمع أقعس وقعساء ، والقعس خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . الأثفار : جمع ثفر بفتحتين وهو سير فى مؤخر السرج يشد من تحت ذنب الدابة ، يبين سوء حالها من كثرة العمل وعدم الراحة لضياع الدار .

(٢) تعش : تقصد .

(٣) لا تجد فى بنى سليط أبطالا ولا خيلا ولا كرما .

(٤) الخبل : الفساد .

(٥) الحواقل : جمع حوقل وهو المسن .

أَولادُ ٱلأَقِنَّهْ

وفى رجز آخر يقول لبنى سليط :

إنَّ سَليطاً فى الخَسارِ إنَّهْ أَوْلادُ قَوْم خُلِقُوا أَقِنَّهْ [١]

لا تُوعِدُونى يا بَنى المِصَنَّه إنَّ لَهُمْ نُسَيَّةً لُعِنَّهْ [٢]

وفى رجز ثالث قال لهم :

إنَّ سَلِيطاً هُم شرارُ الخَلْقِ قَلَّدْتُهُمْ قلائِدًا لا تُبقى

وقال فى رابع :

إنَّ السَّليطىَّ خَبيثٌ مَطْعَمُهْ أَخْبَثُ شىءٍ حسباً وأَلأَمُهْ

نَهارُه أَعمى وَليلُهُ بَصير

وعند ما تعرض له « العناب » أعور بنى نبهان أجابه جرير بأبيات منها :

وجَدْنا بَنى نَبْهانَ أَذنابَ طَيِّيءٍ وللنَّاسِ أَذْنَابٌ تُرَى وصدُورُ

تَرى قزَمَ المِعْزَى مُهُورَ نِسَائِهِمْ وَفى قَزَم المِعْزَى لَهُنَّ مُهورُ [٣]

وأَعْـوَرَ من نَبْهانَ أَمَّا نَهارُهُ فَأَعمى ، وأَمَّا ليلهُ فبَصيرُ [٤]

وأَعْوَرَ من نَبْهانَ يَعْوِى ودُونَهُ منَ الليلِ بابَا ظُلْمَةٍ وسُتورُ [٥]

---

(١) عبيد أقنة : مفردها عبد قن : ما ملك هو وأبواه .

(٢) المصنة : المنتنة الريح . ونسية : تصغير نساء .

(٣) روى : تساق من المعزى . قزم المعزى : صغارها العليلة ، يريد أن نساءهم يمهرن خسيس المعزى لا كرائم الإبل .

(٤) أعور النهار عن الخيرات ، بصير الليل بالسوءات يسرق ويفسد .

(٥) يعوى : وهو ضال ليستنبح الكلاب فيستدل بها على الناس . بابا ظلمة وستور : ظلمة شديدة .

دَعا وهْوَ حَى مثْل مَيْتٍ فَإِنْ يَحِنْ فَهَذَا لَهُ بعد المماتِ نُشُورُ(١)
رَفَعْتُ لَهُ مَشْبُوبَةً يُهْتَدَى بِهَا يَكادُ سَنَاهَا فِى السَّماءِ يَطِيرُ(٢)

عِمَامَةُ اللُّؤْم

تعرض البعيث المجاشعى لقوم جرير ، فأجابه جرير بقصيدة منها :

وعاوٍ عوَى منْ غيْرِ شىءٍ رَمَيْتُهُ بقارعةٍ أَنْفاذُها تقْطُر الدَّما(٣)
لعَمْرِى لقدْ جارَى دعِىٌّ مجاشِعٍ عَذُوماً على طولِ المُجاراةِ مرْجَما(٤)
ولاقيْتَ مِنَّا مثلَ غابةِ داحِسٍ ومَوْقِفه فاسْتَأْخِرَنْ أَو تَقَدما(٥)
فَإِنِّى لَهاجِيكُم وإِنِّى لَرَاغبٌ بأَحسابِنا فضْلاً بنا وتكرُّمَا
سأَذْكرُ مِنكم كلَّ مُنتخَب القُرَى مِنَ الخُورِ لايَرْعى حِفاظاً ولاحِمَى(٦)
فأَيْنَ بنو القَعْقاعِ عَن ذَوْدِ فَرْتَنا وعن أَصْلِ ذاك القِنِّ أَن يتقسَّما(٧)
يَبِينُ إذا أَلْقَى العِمامَةَ لُؤْمُهُ وَتعْرِفُ وجْهَ العبدِ حين تعَمَّما(٨)
لقدْ وجَدَتْ بالقَيْنِ خورُ مجاشِعٍ كوجدِ النَّصارى بالمسيح بنِ مرْيَمَا(٩)

---

(١) يحن : يمت . نشور : بعث . هذا الهجاء فيه حياة له بعد موته لبقائه فى الناس.

(٢) مشبوبة : أى ناراً مشعلة . سناها : ضوؤها .

(٣) روى : بقارعة أقطارها . والقارعة : الداهية .

(٤) دعى مجاشع : هو البعيث . والعذوم : العضوض الذى يعض على لجامه ويصمم فى جريه. والمرجم : الذى يرجم الأرض رجماً شديداً أى يضربها ضرباً ، شبه جرير نفسه بفرس هذا شأنه .

(٥) يقول : لقيت منى نكداً وشؤماً كما لقى عبس وذبيان وفزارة فى داحس .

(٦) منتخب القوى : ذاهب العقل والقوى . والخور : الضعاف المنكسرون . والحفاظ : الأنفة .

(٧) القعقاع بن معبد بن زرارة كانت أم البعيث أمة له ، وكل أمة عند العرب تدعى « فرتنا ». والقن : ابن العبد والأمة . وأن يتقسما : أن يتقسموه فإنه عبد لهم .

(٨) تعرف لؤمه إذا تعمم وإذا وضع العمامة .

(٩) شبه نساء مجاشع بالخور من الإبل وهى الغزار الرقيقة الجلود الطويلة الأوبار اللينات الأبشار .

الدَّمَّاغَةُ أَو الدُّهْقانة (١)

هكذا سمى قصيدته التى هجا بها الراعى النميرى ، وسمى قافيتها المنصورة ، وسمتها العرب الفاضحة . نذكر منها هنا ما يتعلق بالهجاء بعد إذ ذكرنا منها فى مختارات الفخر والحماسة بعض ما فخر به :

أَتلتَمِسُ السِّبابَ بنو نُمَيْرٍ ... فقدْ وأَبيهُمُ لا قَوْا سِباباَ

فلا صلَّى الإلٰهُ على نُمَير ... ولا سُقِيتْ قُبُورُهم السَّحابَا (١)

ولو وُزِنتْ حُلوم بَنى نُمير ... على الميزان ما وَزَنَتْ ذُبابا

فصبرًا يا تُيوسَ بنى نُمَيْرٍ ... فإن الحرب مُوقِدةٌ شِهابَا (٢)

أَلم تَرَنى صُبِبْتُ على عُبَيْدٍ ... وَقد فارَتْ أَباجِلُهُ وشَابا (٣)

أُعِدُّ له مواسِمَ حاميات ... فيشفى حَرُّ شُعْلتها الجِرابا (٤)

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ ... فلا كعباً بَلغتَ ولا كِلابا

أَتعدِلُ دِمنَةً خبُثَتْ وقلَّتْ ... إلى فَرْعين قد كثرا وطَابا (٥)

فيا عجبى أَتوعِدُنى نُميرٌ ... براعى الإبلِ يَحْترِشُ الضِّبابا (٦)

لَعَلَّك يا عُبَيْدُ حسبتَ حَرْبِى ... تُقلِّدُك الأَصِرَّة والعِلابا (٧)

إذا نَهَضَ الكرامُ إلى المَعَالى ... نهضْتَ بعُلْبةٍ وأَثرْتَ نابا

---

(١) الدماغة : مبالغة من دمغ ، ودمغه : شجه حتّى بلغت الشجة الدماغ . الدهقانة : الرئيسة القوية .

(٢) تيوس : جمع تيس وهو ذكر الظباء والمعز والوعول .

(٣) عبيد : الراعى النميرى شاعر مضر . فارت : تعقدت وورمت . الأباجل : جمع أبجل وهو عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بإزاء الأكحل .

(٤) غض الطرف : كف البصر .

(٥) الدمنة : نمير . والفرعان : كعب وكلاب .

(٦) الاحتراش : أن يجىء الرجل إلى جحر الضب ، فيحرك يده عليه ، فيحسبه الضب أفعى ، فيضربه بذنبه ، فلا يزال به حتّى يأخذ بذنبه فيخرجه .

(٧) صر الناقة : شد ضرعها . والصرار ما يشد به ، والجمع أصرة . العلاب : آنية الحلب .

تيم وتميم

قال يهجو التيم – حين تعرض له شاعرهم عمر بن لجأ التيمى – ويحقر من شأنهم ، فهم ليسوا له أنداداً ، ولا يخشى وعيدهم ، قد ضل ضلالهم ، وخاب سعيهم ، وهان أمرهم ، وضاع حسبهم ، كرامهم لئام العالمين ، وسيدهم مسود ، ولؤمهم جديد ، فهم فيه سواء والعبيد ، خبثوا أصولا وفروعاً ، وقعدوا عن المكارم فدنوا ، وتسنمت تميم ذروة المجد فعلوا ؛ فشتان ما بين تيم وتميم :

أَبُونا مالكٌ وأَبُوكَ تَيْمٌ ... فهل تيْمٌ لِذِى حسبٍ نديدُ(١)

أَزيْدَ مَناة توعِدُ يا ابن تيْمٍ ... تبيَّنْ أَين تاه بِك الوعيدُ(٢)

أَتُوعدُنا وتَمْنعُ ما أَرَدْنا ... ونأْخُذُ مِن ورائك ما نُريدُ

وقال النَّاسُ ضلّ ضلالُ تيْمٍ ... أَلَمْ يكُ فيهمُ رجُلٌ رشيد(٣)

ويُقْضَى الأَمرُ حين تغيبُ تيمٌ ... ولا يُستأْمَرُون وهُمْ شُهُودُ

ولا حسبٌ فخرتَ بهِ كريمٌ ... ولا جَدٌّ إذا ازْدحمَ الجدودُ

لِئَامُ العالمينَ كِرامُ تيْم ... وسيِّدُهم وإن رغَمُوا مسُود

وإنَّك لو لقيتَ عبيد تيْم ... وَتيْماً قلتَ أَيُّهمُ العبيد(٤)

أُرى ليلاً يُخَالفُه نهارٌ ... ولؤْمُ التيْم ما اختلفا جديد(٥)

بخُبْثِ البذْرِ ينْبُتُ حرْثُ تيم ... فما طابَ النَّباتُ ولا الحصيدُ(٦)

تمنَّى التَّيمُ أَن أَباهُ سعدٌ ... فلا سعدٌ أَبوه ولا سعيدُ

---

(١) النديد : الشبيه .

(٢) زيد مناة بن تميم : جد جرير .

(٣) اقتباس قرآنى وفى ذلك آيات كثيرة كقوله تعالى فى سورة النساء : « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً » .

(٤) وفى رواية أخرى (وإنك لو رأيت) ، (قلت أيهما) .

(٥) ما : مصدرية زمنية أى مدة اختلاف الليل والنهار .

(٦) الحصيد : الزرع المحصود بعد نضجه .

وما لكم الفوارِسُ يابن تيْمٍ   وَلا المستأْذَنُونَ ولا الوُفُودُ(١)

وإن الحاكمينَ لغيرُ تَيْمٍ   وقينا العزُّ والحسبُ التَّليدُ(٢)

وإنَّ التَّيْم قد خبُثوا وقلُّوا   فما طابوا ولا كَثُرَ العديدُ

ثلاثُ عجائزٍ لهم وكلبٌ   وأَشياخٌ على ثُلَلٍ قَعُودُ(٣)

أَترجو أَن تُسابِقَ سعْىَ قومٍ   هُمُ سبقوا أَباك وهم قُعُودُ

فقد سلبتْ عصاك بنوتميمٍ   فما تدْرى بأَىِّ عصاً تذُودُ(٤)

إذا تَيمٌ ثوتْ بصعيدِ أَرضٍ   بَكتْ من خُبثِ لؤْمِهِم الصَّعيدُ(٥)

فما تقْرِى ، وتنزلِ ياابن تَيْمٍ   وَعادةَ لؤْم قومك تستعيدُ(٦)

نَهى التَّيْمىَّ عُتبةُ والمثَنَّى   وقالا سوفَ تبْهرُكَ الصَّعود(٧)

أَتيْمٌ تجعلون إلى تميمٍ   بعيدٌ فضْل بينهما بعيد

سُيُوفُهم خَشَبٌ

قال يهجو بنى حنيفة ، ويرميهم بالجبن ، وأنهم ليسوا أهل سيف وخيل وحرب :

أَبنـاءُ نَخْلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ   سيوفُهُمْ خَشَبٌ فيها مَساحِيهَا(٨)

---

(١) وفى رواية (ولا يستأذنون) — ليس منهم الشجعان الذين يخوضون الحرب على الخيل ، ولا الملوك الذين تفد إليهم الوفود فتستأذن للدخول عليهم .

(٢) التليد : القديم العريق الأصل .

(٣) صورة تهكمية للهوان يريد بها جرير إضحاك الجماهير . والثلل جمع ثلة وهى ما يخرج من البئر من تراب عند حفرها .

(٤) يذود عن حسبه : يدافع عنه .

(٥) وفى رواية (بكى من خبث ريحهم الصعيد) والصعيد : وجه الأرض ، ثوت : أقامت .

(٦) ينزل على الناس ضيفاً وما من عادته إكرام الضيفان وهذا من لؤمه ولؤم قومه .

(٧) عتبة والمثنى : كانا نهيا عمر عن هجاء جرير . وتبهرك : تغلبك . والصعود : العقبة الكئود .

(٨) الحيطان جمع حائط : وهو البستان به نخل . والمساحى جمع مسحاة وهى الفأس .

قَطْعُ الدِّبَارِ وَأَبْرُ النخلِ عادتُهمْ ... قِدْماً وما جاوزَتْ هذا مساعيهَا[١]
رَأَت حنيفةُ إِذ عُدَّتْ مَساعيها ... أَنْ بئسَما كان يَبْني المجدَ بانيها
لو قيلَ أَينَ هَوادِي الخيْل ما عَرَفوا ... قالوا لأَذنابِها هَذِى هَوادِيهَا[٢]
أَو قيلَ إِن حِمَامَ الموْتِ آخِذُكُمْ ... أَو تُلجِمُوا فرَساً قامتْ بَواكيهَا
لمَّا رَأَتْ خالدًا بالعِرْضِ أَهْلَكَها ... قَتْلًا وأَسْلَمَها ما قالَ طاغِيها[٣]
دانت وأَعطَتْ يَدًا للسَّلم صاغرةً ... منْ بعدِ ما كادَ سَيْفُ اللهِ يُفْنيها[٤]

(ب) النقائض :

١ - الفَرزْدق - البَعيث - جرير

من سوء ما مني به المجتمع الأموى استطارة شر الهجاء بين الشعراء ، حتى شهد الناس بالمربد شعراء القبيلة الواحدة بسب بعضهم بعضاً ، فينشرون المخازى والسوءات ، ويهتكون الأعراض والحرمات ، ويكشفون عن عورات النساء بأوصاف يعف اللسان عن ذكرها ويقف القلم عن تسطيرها . من ذلك ما جرى بين الفرزدق والبعيث وجرير : فقد تعرض البعيث لقوم جرير ، فهجاه جرير وفضح نساء قوم الفرزدق ، ففزعن إليه ، وقد قيد نفسه ليجمع القرآن ، ففض القيد ، وقال :

أَلا اسْتهزَأَتْ منى هُنيْدَةُ أَنْ رأَتْ ... أَسيرًا يُدانى خَطوهُ حَلَقُ الحِجْلِ[٥]

وعرض بالبعيث المجاشعى الذى جره وقومه إلى الشر ، فقال البعيث يجيب الفرزدق ويهجو جريراً بقصيدة مطلعها :

أَهاجَ عليْكَ الشوقَ أَطلالُ دِمْنَةٍ ... بناصِفةِ الجَوَّيْنَ أَوجانب الهَجْلِ[٦]

---

(١) أبر النخل : تلقيحه . الدبار : مشارات المزرعة .
(٢) هوادى الخيل : مقدمها وأعناقها .
(٣) خالد : خالد بن الوليد . العرض : واد باليمامة. طاغيها : مسيلمة الكذاب .
(٤) سيف الله : لقب خالد بن الوليد .
(٥) هنيدة : امرأة الزبرقان بن بدر ، وهى عمة الفرزدق . الحجل : القيد .
(٦) الناصفة: المسيل الواسع . والجو: ما انخفض من الأرض ، وكذلك الهجل والجمع هجول .

فقال جرير يجيب البعيث ويهجو الفرزدق بقصيدة منها :

القين العراقى ، والقين المقيد

لعَمْرِى لقد أَخْزَى البَعيثُ مُجاشِعاً ... وقالَ ذَوُو أَحسابِهِم ساءَ ما يُبْلِي

جَزِعْتَ إلى دُرْجَىْ نَوارَ وغِسْلِها ... وأَصبحْتَ عبدًا لا تُمِرُّ ولا تُحْلِي [١]

لعَمرى لَئنْ كان القُيونُ تَواكَلُوا ... نَوارَ لقدْ آبَتْ نَوارُ إلى بَعْلِ [٢]

وإن الذى يَلقَى البَعيثُ ورَهطُهُ ... هو السَّمُّ لا دُرْجَا نَوارَ معَ الغِسْلِ

وهل أَنتَ إلاَّ نُخْبَةٌ من مُجاشِعٍ ... تُرَى لِحْيَةً فى غَيرِ دِينٍ ولا عقْلِ [٣]

بَنِى مالكٍ لا صِدقَ عندَ مُجاشعٍ ... ولكنَّ حَظًّا من فِيَاشٍ عَلَى دَخْلِ [٤]

وقد زَعموا أَن الفرَزدَقَ حيَّةٌ ... وما قَتَلَ الحَيَّاتِ من أَحدٍ قبلِي

وما مارَسَتْ من ذى ذُبابٍ شَكيمَتِى ... فيُفلِتَ فَوْتَ الموْت إلاَّ عَلَى خَبْلِ [٥]

ولمَّا اتَّقَى القيْنُ العِرَاقِىُّ باسْتِهِ ... فَرَغتُ إلى القَيْنِ المُقيَّدِ فى الحجلِ [٦]

رَأَيتُك لا تَحمِى عقَالاً ولم تُرِدْ ... قِتَالاً فما لاقَيْتَ شرٌّ من القتلِ [٧]

---

(١) الدرج : ما تضع فيه النساء الطيب . والغسل : ما غسلت به رأسك . ونوار بنت أعين بن ضبيعة زوج الفرزدق . يقول له : لم يكن لك إلا الرجوع إلى امرأتك والجلوس معها .

(٢) المواكلة : اعتماد الرجل على صاحبه . آبت إلى بعل : رجعت إلى زوج . يريد أن بنى مجاشع تواكلوا نوار فلم يتزوجوها ، فصارت بغير رضاها إلى بعل غير كفء لها هو الفرزدق .

(٣) النخبة : المنخوب القلب الجبان . أى أنه كبير ملتح ذاهب العقل والدين .

(٤) الفياش : الفخر بالباطل والطرمذة . دخل : أمر فاسد .

(٥) ذباب : حدة وجهل . شكيمة : حدة نفسه ومضاؤه . خبل : فساد واختلاج فى بدنه من ذهاب يد أو رجل .

(٦) القين العراق : البعيث . والقين المقيد : الفرزدق . يقول : حين انهزم البعيث وولى الدبر هارباً ، فرغت إلى الفرزدق .

(٧) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم .

فأجابه الفرزدق بأول قصيدة هجاه بها وفيها يهجو البعيث :

أَلَم تَرَ أَنّى يَوْمَ جَوِّ سُوَيقَةٍ بَكَيْتُ فنادتنى هُنَيْدَةُ ماليَا[١]

فأجابه جرير بقصيدته :

أَلَا حَىِّ رَهْبَى ثم حَىِّ المَطَاليَا فقد كان مأْنوساً فأَصبحَ خاليَا[٢]

وفيها يقول :

دعُوا المجدَ . . .

أَنا ابنُ صَريحَىْ خِنْدِفٍ غيرَ دِعوَةٍ يكونُ مكانُ القلبِ منها مكانِيا[٣]

وما يَسَّرَت عند الحِفَاظِ مُجاشِعٌ كريماً ولا مِن غايةِ المجدِ دانيَا

دعُوا المجْدَ إلاَّ أَن تسوقوا كُزومَكُمْ وقَيْناً عِراقيًّا وقَيْناً يمانِيَا[٤]

تَراغَيْتُمُ يومَ الزُّبيْرِ كأَنكمْ ضِباعٌ بِذِى قارٍ تَمَنَّى الأَمانيا[٥]

وآبَ ابنُ ذَيَّالٍ بأَسْلابِ جارِكمْ فسُمِّيتمُ بعد الزُّبيْرِ الزَّوانيا[٦]

---

(١) جو كل شيء : وسطه . سويقة : موضع . هنيدة بنت صعصعة : عمته .

(٢) رهبي والمطاليا : موضعان .

(٣) الصريح : الخالص . صريحا خندق : مدركة وطابخة ابنا إلياس بن مضر . وخندف : أمهما . والدعوة : أن يدعى لغير أبيه وقومه .

(٤) الكزوم : الناقة المسنة . يقول : ليس لكم فخر إلا عقر الناقة التى عقرها غالب أبوكم يوم عاقر سحيم الرياحى . القين : الحداد . القين العراق : البعيث . القين اليمانى : الفرزدق نسبة إلى اتجاه منازلهما .

(٥) أى لم تكن همتكم يوم غدركم بالزبير بن العوام إلا الرغاء كما تفعل الضباع لشدة شبقها ؟

(٦) ابن ذيال : عمرو بن جرموز بن الذيال قتل الزبير رضوان الله عليه وسلب سيفه وفرسه وخاتمه .

أَحلامنا تزن الجبال

قال الفرزدق يفخر ، ويهجو جريراً :

إِنَّ الذى سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنا بيْتاً دعائمه أَعزُّ وَأَطْــوَلُ[١]

بَيْتاً بَنَاه لنا المَليكُ وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّماءِ فَإِنَّهُ لا يُنْقَلُ[٢]

بيتــاً زُرارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنائهُ ومُجاشِعٌ وأَبو الفوارس نَهْشَلُ[٣]

يَلجونَ بَيْتَ مَجُاشِعٍ وإِذا احْتَبَوْا بَرَزوا كأَنَّهُمُ الجبَالُ المثَّلُ[٤]

ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بِنَسْجِها وَقَضىَ عَلَيْكَ بِهِ الكِتابُ المُنْزَلُ[٥]

أَحلامُنا تَزِنُ الْجِبَالَ رزانَةً وتَخالُنَا جِنًّا إِذَا ما نَجْهَلُ[٦]

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِن أَرَدْت بناءَنا ثَهْلاَنَ ذا الهضبات هل يتَحَلْحَلُ[٧]

يا ابن المراغَة أَيْنَ خالُكَ ؟ إِننى خالى حُبَيْشٌ ذو الفعال الأَفْضَلُ[٨]

خالى الذى غَصَبَ المُلوكَ نفوسَهُمْ وإِليه كان جباءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ[٩]

وَشُغلْتَ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ ومابَنَوْا إِن اللئيم عن المكارِم يُشْغَلُ

---

(١) سمك السماء : رفعها . (٢) المليك وحكم السماء : الله جل شأنه .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم بن مالك ، قوم الفرزدق . محتب بفنائه : قد اشتمل بالثوب فى جلسة الوقور بفناء داره .

(٤) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بثوب أو نحوه . المثل : المنتصبة الراسخة.

(٥) ضربت عليك العنكبوت : يريد أن بيت جرير واهن ذليل كخيوط بيت العنكبوت .

(٦) أحلامنا : عقوننا . نجهل : نغضب ونثور .

(٧) ثهلان : جبل بنجد . يتحلحل : يزول ويتحرك .

(٨ ، ٩) المراغة : الأتان ، وهو لقب نبزت به أم جرير . حبيش بن دارم : خال الفرزدق وكان قد أسر عمرو بن الحارث أحد ملوك الغساسنة ، وجزّ ناصيته ، واشترط عليه أن يبعث إليه بجزية من المال كل عام حتى يموت .

فأجابه جرير بأبيات يهجوه فيها وينقض فخره منها :

أَعددتُ للشعراءَ سُمًّا ناقِعــاً   فسقيت آخِرَهُمْ بكأْسِ الأَوَّلِ [١]
لَمَّا وضَعْتُ على الفَرَزْدقِ مِيسَمِى   وَضَغَاالْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ [٢]
أَخزى الذى سمك السماءَ مُجَاشعاً   وبَنَى بِنَاءَك فى الحضيضِ الأَسْفَلِ [٣]
ولقد بَنَيْتَ أَخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنى   فهدمْتُ بَيْتَكُمُ بمِثْلَىْ يَذْبُلِ [٤]
إنى بنى لى فى المكارِمِ أَوَّلى   ونَفَخْتَ كِيرَكَ فى الزَّمَانِ الأَوَّلِ [٥]
إِنِّى انْصَبَبْتُ مِنَ السّماءِ عليكُمُ   حتّى اختطفْتُكَ يافَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ [٦]
أَحــلامنا تَزنُ الجبالَ رزانة   ويفوق جاهِلُنا فِعالَ الجُهَّلِ
فارجع إلى حَكَمَىْ قريش إنهم   أَهل النبوةِ والكِتابِ المنْزَلِ [٧]
كان الفرزدقُ إذ يعوذُ بخــالِه   مِثْلَ الذَّليلِ يَعوذُ تَحْتَ القَرْمَلِ [٨]
إن الذى سمك السماءَ بنى لنا   عِزًّا عَلَاك فمَا لَهُ مِنْ مَنْقَلِ [٩]
أَبْلِغْ بنى وقبانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ   خَفَّتْ فلا يزنون حَبَّةَ خَرْدَلِ [١٠]
أَلْهَى أَباك عن المكارِمِ وَالْعُلَا   لَىُّ الكتائِفِ وَارْتفاعُ المِرْجَلِ [١١]

---

(١) السم الناقع : القاتل .
(٢) الميسم : المكواة والمراد الأهاجى . ضغا : ذل . جدع : قطع .
(٣) أخزى : أذل . الحضيض : أسفل الجبل . (٤) أخس : أدنأ . يذبل : جبل بنجد .
(٥) الكير : منفاخ الحداد .   (٦) على : أعلى .
(٧) حكما قريش : هاشم وعبد مناف . الكتاب المنزل : القرآن .
(٧) القرمل : شجر ضعيف لاورق له .   (٩) علاك : قهرك . منقل : تحول وانتقال .
(١٠) بنو وقبان : مجاشع قوم الفرزدق . خفت : طاشت . الخردل : أخف الحبوب وزناً .
(١١) لى الكتائف : ثنى الحديد أو فتل الحبال . المرجل : القدر .

الإنسان القرد

ساق جرير فى أبياته التالية جل مخازى الفرزدق ، فوصفه بأنه كان قرداً ثم استدار إنساناً — فهل قرأ دارون شعر جرير قبل تدوين نظريته ؟ — ورماه بالفسق والقعود عن حماية عرض أخته جعثن ، والعجز عن الثأر لقتل أعين أبى النوار . ثم أفحش حين ذكر القين وليلى أم غالب بن صعصعة ، والبعيث وأمه ، والغدر بالزبير وقتله ، وسنكتفى بإثبات ما لا فحش فيه من الأبيات :

تَسيلُ عليهمُ شُعَبُ المخازِى ... وقد كانوا لِسَوْءَتِها قَرارَا[١]

وهل كانَ الفَرَزْدَقُ غَيرَ قِرْدٍ ... أَصابتْهُ الصواعقُ فاستدارا[٢]

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدارِ قَومٍ ... رَحَلتَ بخزْيَةٍ وتركتَ عارَا[٣]

أَتذكرُ صَوتَ جِعْثِنَ إذ تُنادِى ... ومَنْشَدَكَ القَلائدَ والخِمارَا[٤]

أَلم تَخشَوْا إذا بلَغ المخازِى ... على سَوْءَاتِ جِعْثِنَ أَن تُثارَا[٥]

فإِنَّ مَجَرَّ جِعْثِنَ كان لَيْلاً ... وأَعْيَنُ كان مقْتلُهُ نهارَا[٦]

فلوْ أَيَّامَ جِعْثِنَ كان قَوْمى ... هُمُ قوْمَ الفرزدَقِ ما اسْتَجارَا

تَزَوَّجتُمْ نَوارَ ولمْ تُريدُوا ... لِيُدْرِكَ ثائرٌ بأَبى نَوَارَا[٧]

---

(١) الشعبة : مسيل .

(٢) استدار : استدار إنساناً بعد أن كان قرداً .

(٣) نزل الفرزدق بامرأة فأضافته وأحسنت إليه ، ثم راودها عن نفسها فاستغاثت ، فطلب فهرب ، فعيره جرير بذلك .

(٤) جعثن : أخت الفرزدق ، كانت تتحدث مع جارتها ظمياء بنت طلبة ، فاشتهى الفرزدق حديثها ، وشغلت أخته ليلة فحرك الجلجل الذى كانت جعثن تصفق به لظمياء ، فجاءت ظمياء كعادتها وارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت إلى رحلها ، فلما سمع بأمرها تجمع فتيان من مقاعس ، واستخرجوا جعثن من خبائها ، ثم سحبوها ليسمعوا بها ، فبالغ جرير فى هذا الحادث . ومعنى البيت : تركت أختك تستغيث وأخذت تسأل عن قلائدها وخمارها .

(٥) تثار : تذكر ويتحدث عنها .

(٦) أعين : أبو النوار وهو ابن ضبيعة بن ناجية ، وجهه على بن أبى طالب إلى البصرة فقتله بها رجل من بنى حوى بن عوف بن سفيان بن مجاشع .

(٧) تزوجتموها ولم تطلبوا بثأر أبيها .

الأَربعة الأَشرار

وفى قصيدة أخرى يهجو الفرزدق والبعيث وأمه وأباه ، وبنى مجاشع ويعد مخازيهم ، ويعرض بنسائهم ، فيقول :

إنَّ الفرزدَقَ والبَعِيثَ وأُمَّهُ ... وأَبا البَعيثِ لَشَرُّ ما إِسْتَارِ[١]

طَاحَ الفرَزدَقُ فى الرِّهانِ وعمُّهُ ... غَمْرُ البَدِيهةِ صادفُ المِضمارِ[٢]

ترْجو الهَوادَةَ يا فرزدقُ بعد ما ... أَطفأْتَ نارك واصطلَيْتَ بنارى

إن البَعيثَ وعبْدَ آلِ مُقاعِسٍ ... لا يَقْرآنِ بسورةِ الأَحْبارِ[٣]

كنتمْ بَنى أَمَةٍ فأُغْلِقَ دونَكمْ ... بابُ المَكارمِ يا بَنى حَجّارِ[٤]

إنَّ اللِّئامَ بَنِى اللئامِ مُجاشعٌ ... والأَخْبَثون مَحَلّ كلِّ إزار

سارَ القصائدُ واستَبَحْنَ مُجاشِعاً ... ما بَينَ مِصرَ إلى جَنوبِ وَبَارِ[٥]

يَتلاومون وقد أَباحَ حَرِيمَهمْ ... قَيْنٌ أَحَلَّهمُ بدار بَوَارِ[٦]

لاَ تَفخرنّ إذا سَمِعتَ مُجاشِعاً ... يتخاوَرونَ تَخاوُرَ الأَثْوارِ[٧]

أَعَلَيَّ تَغضبُ أَنْ قُفَيْرَةُ أَشْبَهتْ ... منــهُ مكانَ مُقلَّدٍ وعِذَارِ[٨]

نامَ الفَرَزدَقُ عن نَوَارَ كنوْمِهِ ... عن عُقْرِ جِعْثِنَ ليْلَةَ الإِخْفارِ[٩]

---

(١) الإستار : وزن أربعة ، وهى معرب جهار بالفارسية .

(٢) البديهة : المفاجأة ، يقول إن عمه حاضر الجواب يغمر من يبدهه فى المجاراة واللقاء .

(٣) عبد آل مقاعس : الفرزدق . ومقاعس : الحارث وولده عبيد تقاعسوا عن الحلف ، فسموا مقاعساً . سورة الأحبار : سورة المائدة . يعنى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فهم لا يوفون بعهدهم .

(٤) بنى حجار : من مجاشع .

(٥) وبار : أرض منقطعة وراء يبرين ، زعموا أن الجن غلبت عليها وسكنتها .

(٦) بوار : هلاك .

(٧) التخاور : الخوار وهو صوت الثور .

(٨) قفيرة : جدتهم . المقلد : العنق – ويعنى بالعذار : العارضين أى الخدين .

(٩) الإخفار : نقض العهد .

إنَّ القصائدَ لن يزَلْنَ سوائحاً ... بحَديث جِعْثِنَ ما تَرَنَّمَ ساري

لمَّا بَنَى الخَطَفَى رَضِيتُ بما بَنَى ... وأَبو الفرزْدَقِ نافخُ الأَكيارِ (١)

وتَبِيتُ تَشربُ عِندَ كلِّ مُقَصَّصٍ ... خَضِلِ الأَنامل واكِفِ المِعصارِ (٢)

لا تَفخرنَّ فإن دينَ مُجاشعٍ ... دينُ المجوسِ تطوفُ حَوْلَ دُوارِ (٣)

ضربةُ الرومىّ

حج سليمان بن عبد الملك ، وحجت الشعراء معه ، ولما كان بالمدينة تلقود بأربعمائة أسير رومى ، فأمر بعض من حضر بضرب الأسرى ، ففعلوا وقتلوا ، ثم دفع إلى جرير أسيراً ، فدست إليه بنو عبس سيفاً قاطعاً فضرب الأسير ، وأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسيراً ، فدسوا إليه سيفاً كهاماً لا يقطع ، فتناوله وهزه وضرب الأسير ، فلم يصنع شيئاً ، فألقاه مغضباً بين ضحك سليمان والناس ، قال : هذه ضربة سيقول فيها هذا — يعنى جريراً — وتقول فيها العرب . ثم أنشد :

فإن يكُ سيفٌ خَان أَو قدَرٌ أَتَى ... لِتأْخيرِ نفسٍ حتفُها غير شاهدِ (٥)

فسيفُ بنو عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبَا بيَدَىْ ورقَاءَ عن رأْس خالدِ (٦)

كذاك سُيُوفُ الْهِند تنْبُو ظُبَاتُها ... ويَقطَعْنَ أَحياناً مَنَاطَ القلائدِ (٧)

وقال فى قصيدة أخرى :

ولن نقتلَ الأَسْرى ولكن نفكُّهم ... إذا أَثْقَلَ الأَعناقَ حملُ المغارِمِ

---

(١) الأكيار : جمع كير وهوزق ينفخ فيه الحداد .

(٢) يصور فسق الفرزدق وملازمته بيوت الخمارين . المقصص : الذمّى الذى جزت ناصيته وهو الذى يبيع الخمر . والمعصار : الخمر .

(٣) دوار : صنم .

(٤) « طبقات فحول الشعراء » و « النقائض » .

(٥) الحتف : الموت والأجل . شاهد : حاضر .

(٦) نبا السيف : لم يؤثر ولم يقطع . ورقاء بن زهير ، وكان قد ضرب خالد بن جعفر بن كلاب ضربات فلم يغن شيئاً .

(٧) سيوف الهند : تصنع من حديد الهند ، وهى من أجود السيوف عند العرب ، ظباتها : جمع ظبة وهى حد السيف . المناط : ما تناط فيه أى تعلق يعنى الرقبة . القلائد : جمع قلادة وهى حلى يعلق بالعنق .

فهل ضربةُ الرومىِّ جاعلةٌ لكم أَباً عن كُلَيْب أَو أَباً مثلَ دارمِ [١]

فأجابه جرير بقوله :

أَكلَّفْتَ قيساً أَن نَبَا سيفُ غالبٍ وشاعتْ له أُحدوثَةٌ فى المواسِمِ
بسيفِ أَبِى رغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربْتَ ولم تضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ [٢]
ضربْتَ به عند الإِمام فأُرعِشَتْ يَدَاك وقالوا مُحدَثٌ غيرُ صارمِ [٣]
ضربْتَ به عُرقوبَ نابٍ بِصَوْأَرٍ ولا تضربُون البيضَ تحت الغماغِمِ [٤]
عنيفٌ بِهزِّ السيف قيْنُ مُجاشِعٍ رفيقٌ بأَخْراتِ الفُئُوس الكرازِمِ [٥]

ثم أغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يعابُ سيِّدٌ إذا حَبا ولا يُعابُ صارِمٌ إِذا نبا
ولا يُعابُ شاعرٌ إِذا كبَا

ثم جلس وهو يقول :

ولن نقتل الأَسرى ولكن نفكهم. . . . إلخ

---

(١) وفى رواية أخرى أنه قال :

أَيعجبُ الناسُ إن أَضحكتُ سيِّدَهُمْ خليفةَ اللهِ يُستَسْقَى بهِ المطرُ
لم يَنبُ سيفِىَ من رُعبٍ ولا دَهَشٍ عن الأَسير ولكن أَخَّر القَدَرُ
ولن يقدِّمَ نفساً قبل ميتَتِهــا جمعُ اليدينِ ولا الصَّمْصامةُ الذَّكَرُ

(٢) أبو رغوان : كنية مجاشع بن دارم جد الفرزدق لقب به لأنه كان خطيباً ذا بيان ولسان يرغو به كما ترغو الإبل . والحارث بن ظالم المرى كان من فتاك العرب .

(٣) المحدث : الحديث الصنع لم يجرب .

(٤) روى : العمائم . والغمغمة : أصوات لا تفهم يحدث مثلها فى الحرب . عرقوب ناب بصوأر : أراد معاقرة غالب بن صعصعة أبي الفرزدق بصوأر . وصوأر : واد ذاهب فى الأرض .

(٥) خرت الفأس : ثقب الفأس الذى يقع فيه العمود . الكرازم : الفئوس التى لها رأس عظيم : يريد أنه حداد .

٢ - جرير والأَخطل

ملحمة جرير :

أنشد هذه الملحمة فى هجاء الأخطل ، وقد بدأها بالنسيب ، فحيا الديار ، ودعا لها بالسقيا ، ووصفها ، وذكر الصبا والفراق ، وناجى خيال أم حزرة ، ويوم دارة صلصل ، ووصف رحلة الفراق ، ووعثاء السفر ، وما أصابه وأصاب المطى من سآمة وكلال .

ثم وصل نسيبه بهجاء تغلب ، فقبح وجوههم ، وغمزهم من ناحية الدين ، ونشوة الخمر التى تفقدهم صوابهم ، ورماهم بذلة السؤال ، وخسة اللؤم .

ثم يشيد ببطولة قيس يوم مرج الكحيل ، وقسوة حملتها على تغلب ، ويصف ضروب الشجاعة وإكرام الخيل ، وينتقل إلى تحقير الأخطل ، ويعرض بأمه . وفى أثناء ذلك يفخر بقومه وشجاعتهم ويذكر التحام الفرسان فى يوم مرج الكحيل ويوم البشر لقيس على تغلب ، ويوم ذى بهدا ليربوع وقد أسروا فيه الهذيل التغلبى ، ويغالى جرير فى هجاء تغلب إلى أن يتناول بنى مجاشع بأسلوب هجائى ساخر بارع ، فيسبهم وهو منهم ، باستفهام إنكارى يجمع المخازى فى بيت واحد ، فيبوءون بالعار ، ويذهب بالفخار ...

أَوَجَدْتَ فينَا غيرَ غَدرِ مُجاشِعٍ   ومَجَرَّ جِعْثِنَ والزُّبيْرَ مقَالا

وفى هذه الملحمة أبيات استشهد بها النحاة ، وأبيات ضربنا عنها صفحاً لفحشها ، وأخرى تركت آثاراً فى المجتمع كبيته السائر فى الهجاء :

والتَّغْلبِىُّ إذا تنحنح لِلْقِرَى   حَكَّ اسْتَهُ وتمثَّلَ الْأَمْثَــالا

وبيته الذى أثار ثائرة الزنج :

لاَ تَطْلُبنَّ خئُولَةً فى تغلِبٍ   فالزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنهمُ أَخْوَالا

مما حفز شاعرهم سنيح بن رياح مولى بنى ناجية على التعرض له بالهجاء . وإليك هذه الملحمة فى مفصل أقسامها :

النسيب : الأطلال والديار :

حَيِّ الغداة بِرامةَ الأَطْلاَلا   رَسْماً تحمَّلَ أَهلُهُ فأَحَالَا[1]

---

(١) رامة : ماء لبنى قيس على اثنتى عشرة مرحلة من البصرة إلى مكة ، وبينه وبين الرمادة ليلة وهو آخر بلاد تميم . والأطلال : ما شخص من آثار الديار . والرسم : الأثر . وتحمل : ارتحل . وأحال : أتت عليه أحوال ، أو تحول وتغير ، وكلا المعنيين لازم للآخر ، وروى عمارة بن بلال ابن جرير : تقادم عهده أى قدم .

إنّ السَّوَارِيَ والغوادِيَ غادرتْ ... لِلريح مُخْتَرَقاً بِهِ ومَجَالا[١]

لَمْ أَرَ مثالكَ بعد عهدِك مَنزِلاً ... فَسُقِيتَ من سَبَلِ السِّماكِ سِجَالا[٢]

أَصْبحْتَ بعد جميع أَهلِكَ دِمنةً ... قَفْرًا وكُنتَ مَرَبَّةً مِحْلالا[٣]

ولَقدْ عَجِبْتُ من الدِّيَارِ وأَهْلِها ... والدَّهْرِ كيفَ يُبدِّلُ الأَبْدالا

ورأَيْتُ راحلَةَ الصِّبَا قَدْ أَقصرَتْ ... بعد الوَجيفِ وملَّت التِّرْحَالا[٤]

الفراق :

إنّ الظَّعائِنَ يَوْمَ بُرْقَةِ عــاقِلٍ ... قَدْ هِجْنَ ذا سَقَمٍ فَزِدْن خبَالا[٥]

طَرِبَ الفؤادُ لِذِكْرِهِنَّ وقَدْ مضَتْ ... باللَّيْلِ أَجْنِحَةُ النُّجُومِ فمالا[٦]

يجعلنَ مَدْفعَ عاقِلينِ أَيامِناً ... وجعلنَ أَمعز رامتينِ شِمَالا[٧]

لا يَتَّصِلْنَ إذا افتخرن بِتغلِبٍ ... وَرُزِقْنَ زُخْرُفَ نِعْمَةٍ وَجَمَالا[٨]

طيف أم حزرة :

طَرَقَ الخيالُ لِأُمِّ حَزْرَةَ مَــوْهِناً ... ولَحَبَّ بِالطَّيْفِ المُلِمِّ خيالا[٩]

---

(١) السوارى : جمع سارية وهى السحابة تسرى ليلا . والغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة أو تمطر غدوة . والمخترق والمجال : الممر والمسلك .

(٢) لم أر : لعلها لم أرض . ولعلها صحيحة كما وردت فيكون قد أحَق الطى بالتفعيلة الأولى من البيت : السبل : المطر . والسماك : نوء من أنواء الصيف يكثر فيه المطر ، وسجال : دلاء ماء .

(٣) الدمن : آثار الناس . والمربة : المألوفة المختارة . والمحلال : المختارة للحلة .

(٤) الوجيف : ضرب من سير الإبل .

(٥) الظعينة : المرأة فى الهودج . والبرقة : أرض ذات حصى ورمل ، وربما خالطه طين.

(٦) أجنحة النجوم : « السواقط منها » لجنوحها عند سقوطها . وميل الليل : تهوره وسقوطه .

(٧) مدفعه : مجرى سيله . عاقلين : مثنى قصد به المفرد . وكذلك رامتين . والأمعز : الأرض ذات الحصى . وروى : فجعلن مدفع .

(٨) الزخرف : الحسن .

(٩) الطروق : المجىء بالليل . والموهن : نحو من نصف الليل . والملم : النازل .

يالَيْتَ شِعْرِى يَوْمَ دَارَةِ صُلْصُلٍ   أَتُرِيدُ صَرمى أَم تُرِيدُ دَلالا[١]
لَوْ أَن عُصْمَ عَمَايَتَينِ ويَذْبُلٍ   سَمِعتْ حديثَكِ أَنْزَلَ الأَوعالا[٢]

الرحلة والمطى :

حُيِّيتِ لستِ غدًا لَهُنَّ بصاحبٍ   بحَزِيز وجْرَةَ إذ يخِدْن عِجَالاَ[٣]
أَجْهَضْن مُعجلةً لستةِ أَشهرٍ   وحُذِينَ بعدَ نِعَالِهِنَّ نِعَالاَ[٤]
وإذا النَّهارُ تَقَاصَرَتْ أَظْلالهُ   وَوَنَى المطِيُّ سَآمةً وكلالا[٥]
رَفَعَ المَطِيُّ بِكُلِّ أَبيَضَ شَاحِبٍ   خَلَقِ القَمِيصِ تَخَالُهُ مُخْتَالاَ[٦]

هجاء تغلب :

إنِّى جُعِلْتُ ـ فَلَنْ أُعافَى تَغْلِباً ـ   لِلظَّالمينَ عُقُوبَةً ونَكالاَ
قَبَحَ الإلهُ وُجوهَ تَغْلِبَ إنَّها   هَانَتْ علىَّ مَرَاسِناً وسِبَالا[٧]
قَبَحَ الإِلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّمَا   شَبَحَ الحجِيجُ وكَبَّروا إهْلالا[٨]
والتَّغْلِبِيُّ إذا تنحنح لِلْقِرَى   حَكَّ اسْتَهُ وتمَثَّلَ الأَمثَالا[٩]

بطولة قيس ويوم مرج الكحيل :

أَنسيتَ يَوْمَكَ بالجَزِيرَة بَعْدَمَا   كانَتْ عواقبُه عليكَ وَبَالاَ

---

(١) دارة صلصل : موضع . والصرم : القطع بالفراق .
(٢) العصم : الوعول لبياض فى أيديها . وعماية ويذبل : جبلان بالعالية .
(٣) وجرة : دون مكة بثلاث مراحل لبنى سليم . والحزيز : الغليظ المنقاد مستطيلا . والوخد : ضرب من السير . وروى : كرى فلست .
(٤) الإجهاض : أن تلقى الحامل قبل وفاء مدة الحمل .
(٥) ونى : فتر . والسآمة : الملالة والضجر . الكلال : التعب .
(٦) رفع المطى : اختياله فى سيره .
(٧) المراسن : الأنوف وأحدها مرسن . والسبال : الشوارب واحدها سبلة .
(٨) الشبح : رفع الأيدى بالدعاء . والإهلال : رفع الصوت .
(٩) يصف التغلبيين بالشح والدناءة واللؤم ، لتنحنحهم عند مقابلة الضيفان وإتيانهم بالحركات الدنيئة ، والتماسهم المعاذير بتمثل الأمثال .

حَمَلَتْ عليكَ حُماةُ قَيْسٍ خَيْلَها ... شُعْثاً عَوَابِسَ تحمِلُ الأَبطالاَ[1]

ما زِلْتَ تَحسِبُ كلَّ شيءٍ بَعْدَهُمْ ... خَيْلاً تَشُدُّ عليكمُ ورِجالاَ

زُفَرُ الرَّئيسُ أَبو الهُذَيْلِ أَبادَكمْ ... فَسبَى النِّساءَ وأَحْرَزَ الأَمْوالاَ[2]

قالَ الأُخيْطِلُ إذ رأَى رَاياتِهِمْ ... يا مَارَ سَرْجِسَ لَا نُرِيدُ قِتالاَ

هلاَّ سأَلْتَ غُثَاءَ دِجْلةَ عنكمُ ... وَالخامِعَـاتُ تجمَعُ الأَوْصالاَ[3]

خزى الأخطل :

تَركَ الأُخيْطِلُ أُمَّهُ وكأَنها ... مَنْحَاةُ سانيةٍ تُدِيرُ مَحالاَ[4]

وَرَجا الأُخَيْطِلُ منْ سَفاهَةِ رأْيِهِ ... ما لَمْ يكنْ وَأَبٌ له لِينالاَ

خلِّ الطرِيقَ فَقدْ رَأَيْتَ قُرومَنا ... تَنْفِى القُرُومَ تخمُّطاً وَصِيالاَ[5]

نمَّتْ تميمي يا أُخَيْطِلُ فاحْتَجِزْ ... خَزِىَ الأُخيْطِلُ حَينَ قُلتُ وَقالاَ

خندف :

لوْ أَنَّ خِنْدِفَ زَاحَمَتْ أَركانُها ... جَبَلاً أَصمَّ منَ الجبالِ لَزَالاَ

إِنَّ القَوافِىَ قدْ أُمِرَّ مَرِيرُها ... لِبنِى فَدَوْكَسَ إِذ جَدَعْنَ عِقالاَ[6]

فرسان وخيل :

وَلقيتَ دُونِى منْ خُزَيْمَةَ مَعْشَراً ... وَشَقَاشِقًا بَذَخَتْ عليكَ طِوَالا[7]

---

(١) شعث : عليها غبار من شدة النضال .

(٢) كان هذا يوم الكحيل ويقال له : يوم مرج الكحيل ، وكان بين بنى فدوكس وتغلب على تميم بن الحباب وزفر بن الحارث .

(٣) الغثاء : ما حمله الماء من القماش . والخامعات : الضباع .

(٤) المنحاة : طريق السانية ما بين منتهى الرشا إلى البئر . والمحال : بكرة السانية .

(٥) القروم : الفحول . وتخمط البعير : هدره وعقده عنقه . وصياله : بطشه بالإبل والناس .

(٦) أمر مريرها : أحكم صنعتها . وجد عن : قطعن أنفه أى أذللنه .

(٧) روى : تدرأ مكان معشراً ، والتدرأ : العز . والشقاشق : شبهها بشقاشق الفحول وهدرها . وبذخت : طالت وشمخت .

رَاحَتْ خُزَيمَةَ بالجيادِ كأَنّها عِقْبانُ مُدْجنةٍ نَفَضْنَ طِلالاَ
إنّا كذاكَ لِمِثْلِ ذَاكَ نُعِدُّها تُسقَى الحليبَ وَتشْعَرُ الأَجلالاَ(١)

يوم ذى بهدا وأسر الهذيل التغلبى :

ما كنتَ تَلقَى فى الحُروبِ فَوارِسى مِيلاً إذا ركبوا وَلا أَكْفالاَ(٢)
صَبَّحنَ نِسوَةَ تَغلبٍ فسبَيْنها وَرَأى الهُذَيلُ لِوِرْدِهِنَّ رِعالاَ(٣)
قيْسٌ وَخِنْدِفُ إنْ عَدَدْتَ فَعَالهمْ خيرٌ وَأَكْرَمُ من أَبيكَ فَعالاَ(٤)
إنْ حرَّمُوكَ لَتَحْرُمَنَّ عَلَى العِدَا أَو حَلَّلوكَ لتُأْكَلَنّ حلالاَ
هلْ تملِكون منَ المَشاعر مشْعَراً أَوْ تَنزِلون مِنَ الأَرَاكِ ظِلالا(٥)
فَلنَحْنُ أَكْرَمُ فى المنازلِ منْزِلاً منكمْ وَأَطوَلُ فى السماءِ جبالاَ
قُدْنا خُزَيمَةَ قَدْ علمتمْ عَنْـوَةً وشَتا الهُذيلُ يمارِسُ الأَغلالاَ(٦)
وَرَأَتْ حُسَيْنَةُ بالعَذَابِ فوَارِسى نحْوَ النِّهابِ وتَقْسِمُ الأَنفالاَ(٧)

هجاء مجاشع وتغلب :

أوْجَدْتَ فِينَا غَيْرَ غَدْرِ مُجاشِعٍ ومَجَرَّ جِعْثِنَ والزُّبيْرَ مقـالاَ(٨)

---

(١) الأجلال : جمع جل وهو للدابة كالثوب للإنسان . وتشعر الأجلال : تكرم بإلباسها الأجلال فوق شعرها كالشعار .

(٢) الأميل : الذى لا يثبت على الدابة . والكفل : الذى لا يقوم بأمر نفسه .

(٣) الهذيل بن هبيرة التغلبي ، وكان ذلك فى يوم ذى بهدا ليربوع على تغلب . والرعال : جماعات الخيل المتقدمة .

(٤) الفعال : الفعل الحسن .

(٥) الأراك ؛ شجر يستاك بقضبانه ، طويل ناعم ، كثير الأوراق والأغصان ، وارف الظلال ، الواحدة أراكة .

(٦) عنوة ؛ قسراً . شتا يمارس الأغلال : أمضى الشتاء فى القيود .

(٧) حسينة بنت جابر بن بجير العجلى . والعذاب : مسترق الرمل منقطعه ، وهو أيضاً يوم لبنى عبد مناة على عجل ويسمى يوم الصعاب .

(٨) جعثن : أخت الفرزدق ، وقد ذكرنا قصة سحبها للتسميع بها فى مكان آخر .
والزبير بن العوام غدر به بنو مجاشع وهو منصرف من وقعة الجمل ، قتله عمر بن جرموز وسلبه .

وَلَوَ انَّ تغْلِبَ جمَّعَتْ أَحسابَها ... يَوْمَ التَّفاخُرِ لَمْ تزِنْ مثقَالاَ[١]

لاَ تَطْلُبَنَّ خُئُولَةً فى تغلبٍ ... فَالزَّنجُ أَكْرَمُ منهُمُ أَخْوَالاَ[٢]

وَرَمَيْتَ هَضْبَتَنا بأَفْوَقَ نَاصِلٍ ... تَبْغِى النِّضالَ فقدْ لَقيتَ نِضالاَ[٣]

لوْلاَ الجِزا قُسِمَ السَّوَادُ وَتَغلِبٌ ... فى المُسلمِينَ فكنْتُمْ أَنْفالاَ[٤]

٤ — عُيون شعره

(١) قال محمد بن سلام رأيت أعرابياً من بنى أسد أعجبنى ظرفه وروايته، فسألته عن الفرزدق وجرير ، وقلت له : أيهما عندكم أشعر ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير . قال فى الفخر[٥] :

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تميمٍ ... حَسِبتَ النَاسَ كلَّهُمُ غِضاباً

والمديح قوله :

أَلستُمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المَطَايا ... وَأَنْدَى العَالَمينَ بُطونَ راحِ[٦]

والهجاء قوله :

فغُضَّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ ... فلاَ كَعْباً بلغْتَ وَلا كِلاَبا

والنسيب قوله :

إنَّ العُيونَ التى فى طَرْفِها حَوَرٌ ... قتَلْنَنَا ثمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانا

وقال ابن سلام بل قوله :

فلمَّا الْتَقى الحيَّانِ أُلْقِيتْ العَصا ... وَماتَ الهوَى لَمّا أُصِيبَتْ مقَاتِلُهْ

---

(١) وزن كل شىء : مثقاله . أراد لم يكن لها وزن .

(٢) روى ابن الشجرى : أن عبيد الزنج غضبوا من جرير حين قال هذا البيت .

(٣) الأفوق : السهم الذى لا فوق له . والناصل : الذى لا نصل له . وروى :

إن كنت رمت من السفاهة عزنا ... تبغى النضال فقد وجدت نضالا

(٤) الجزا : جمع جزية . والأنفال : الغنائم .

(٥) « الأغانى ومهذبه » و « طبقات فحول الشعراء » .

(٦) أندى : أسخى .

(ب) وأكثر الأدباء والنقاد يرون أن أجود بيت فى الرثاء قوله :

لوْلاَ الحياءُ لعَادَنى استعبارُ ولزرْتُ قَبرَكِ والحبيبُ يُزَارُ (١)

وأصدق بيت قوله :

إنى لأَرْجو منْكَ خيرًا عاجلاً والنَّفْسُ مولَعَةٌ بحُبِّ العاجل

وأشد بيت تهكماً قوله :

زَعَم الفَرَزْدَقُ أَنْ سيَقْتُلُ مِرْبَعاً أَبشِرْ بِطولِ سلاَمةٍ يا مِرْبَعُ (٢)

وأحسن بيت تشبيهاً قوله :

سَرَى نَحوَهُمْ لَيلٌ كأَنَّ نُجُومَهُ قَناديلُ فيهنَّ الذبال المفَتَّل (٣)

أو قوله فى وصف خيل مضمرة :

وَطَوَى الطِّرَادُ بُطونَهُنَّ كأَنها طىّ التِّجارِ بحضْرَمَوْتَ بُرُودَا (٤)

(حـ) ومن أبياته السائرة المشهورة قوله :

لاَ يَلْبَث القُرَناءُ أَنْ يتفرَّقوا ليلٌ يكرٌّ عَليهمُ ونهارُ (٥)

وقوله :

لا يأْمَنَنَّ قوِىٌّ نَقْضَ مِرَّتِه إنى أَرَى الدهْرَ ذا نقْض وإمْرَارِ (٦)

---

(١) روى : لهاجنى . الاستعبار : جريان الدمع من العين .

(٢) مربع : كمنبر لقب وعوعة بن سعيد راوية جرير .

(٣) الليل : الجيش الكثير . وشبه سلاحه بالقناديل والذبال المفتل ، الذبال : جمع ذبالة وهى الفتيلة . وذبال مفتل : شدد للكثرة .

(٤) روى : «وطوى الطراد مع القياد بطونها» ، الطراد : حمل الفارس على صاحبه ومقاتلته . التجار : جمع تاجر . البرود : الثياب .

(٥) القرناء : الأصحاب . يكر : يمر ويرجع مرة بعد مرة .

(٦) مرة : شدة وقوة . إمرار الحبل : فتله فتلا محكماً . والنقض : نكث الحبل بعد فتله .

وقوله :

وَإِلَى لَعَفٌ الفقر مُشْتَرَكُ الغِنَى سَرِيعٌ - إذا لم أَرْضَ دارِى - انتقاليا (١)

وقوله :

أنا البازِى المطِلُّ عَلَى نُمير أُتيحَ مِنَ السَّماءِ لها انْصِبابا (٢)

وقوله :

يُحالِفُهُمْ فَقْرٌ قديمٌ وذِلةٌ وَبِئْسَ الخَليطانِ الْمَذَلَّةُ والفقرُ (٣)

فَصَبرًا عَلَى ذُلٍّ رَبيعَ بنَ مالِك وكلُّ ذَليلٍ خيرُ عادتهِ الصبْرُ (٤)

وقوله :

دَعَوْنَ الهوَى ثم ارْتَمينَ قُلوبنَا بأَسْهُم أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صديقُ (٥)

أَوَانِسُ : أَمَّا مَنْ أَرَدْنَ عَنَاءَهُ فعانٍ ، ومَنْ أَطلقْنَ فهُوَ طَليقُ (٦)

وقوله :

إِنَّ الذينَ غَدوْا بِلُبِّكَ غادَروا وَشلاً بعيْنِكِ ما يزالُ مَعينا (٧)

غَيَّضْنَ مِنْ عبرَاتِهِنَّ وقُلن لى : ماذا لَقِيتَ مِنَ الهوَى ولَقِينا (٨)

---

(١) روى : احتماليا مكان انتقاليا .

(٢) البازى : الصقر . أتيح : هيئ وقدر .

(٣) روى : بئس الحليفان .

(٤) ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وهم ربيعة الجوع ، هجاهم جرير لإعانتهم بنى سليط .

(٥) ارتمين : هنا بمعنى رمين .

(٦) أوانس : جمع آنسة وهى فتاة حلوة الحديث ، طيبة النفس ، تميل إليها ، وتميل إليك ، فيأنس كل إلى صاحبه . العناء : الجهد والمشقة . العانى : الأسير .

(٧) غدوا : ساروا غدوة ، والغدوة : أول النهار . الوشل : الماء القليل أو الكثير يريد أن دمعه يتحدر شيئاً فشيئاً كلما عاودته الذكرى . المعين : الماء الجارى الظاهر .

(٨) غيض من عبراتهن : حبسن الدمع حتى غاض .

وقوله :

يا أَهْلَ جُزْرَةَ إنى قدْ نَصَبْتُ لكمْ ... بالمِنْجَنِيقِ ولمَّا يُرْسَلِ الحجَرُ(١)

وقوله :

تُريدِينَ أَنْ أَرْضَى وأَنْتِ بخيلةٌ ... وَمَنْ ذا الذى يُرْضِى الأَخِلاَّءَ بالبُخْلِ

فإنَّك لاَ يَرْضَى إذا كانَ عاتِباً ... خَليلك إلَّا بالموَدَّةِ والبَذْلِ(٢)

وقوله :

يا تَيْمُ إنَّ بيُوتَكمْ تَيْمِيَّةٌ ... قُعْسُ العِمادِ قَصِيرَةُ الأَطْنابِ(٣)

قوْمٌ إذا حَضَرَ الملوكَ وُفودُهُمْ ... نُتِفَتْ شوَارِبُهُمْ عَلَى الأَبوابِ

وقوله :

وكنتَ إذا نَزَلْتَ بدَارِ قَومٍ ... ظَعنْتَ بخزْيَة وترَكْتَ عارًا(٤)

وقوله :

وابْنُ اللَّبُونِ إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ ... لمْ يستطِعْ صَوْلةَ البُزْلِ القناعِيسِ(٥)

---

(١) جزرة : ماء لبنى كعب بن العنبر .

(٢) العاتب : الغاضب المعاتب .

(٣) تيم الرباب وهم بنو تيم بن عبد مناة بن أد . والبيتان من هجاء جرير لعمرو بن لجأ التيمى . والقعس: جمع أقعس وقعساء ، التى خرج صدرها ودخل ظهرها . العماد للخباء: ما يقوم عليه ويرتفع . وأطناب الخباء : حباله التى يشد بها .

(٤) ظعن : ذهب . الخزية : ما يستحى منه الانسان من البلايا .

(٥) ابن اللبون : ولد الناقة الذى استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ، فهو ما زال ضعيفاً ، وأمه لبون لأنها تكون قد حملت مرة أخرى ووضعت وصارت ذات لبن : لزه : ألصقه وشده . والبعيران إذا قرنا فى قرن واحد فقد لزا . صولة : سطوة . البزل : جمع بازل وهو بعير استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وبزل نابه وانشق ، فاستجمع شبابه وقوته . فلا يستطيع ابن اللبون مجاراته على السير العنيف إذا ما لزا . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل العظيم الطويل السنمة .

وقوله :

لو كنْت حُرًّا يا ابن قَيْنِ مُجاشِعٍ شيَّعْتَ ضيْفَكَ فَرْسَخَيْنِ وَميلاَ[١]

وقوله :

لا يَستَطِيع أَخُو الصَّبابَةِ أَنْ يُرَى حَجرًا أَصَمَّ ، ولا يكونَ حديدًا[٢]

وقوله :

لوْ أَنَّ عُصْمَ عَمَايتينِ ويَذْبُلٍ سمعتْ حَدِيثَكِ أَنْزَلَ الأَوْعالاَ[٣]

وقوله :

قُلْ للْجَبان إذا تأَخَّر سَرْجُهُ هلْ أَنْتَ منْ شرَكِ المنية ناجِى[٤]

---

(١) قين مجاشع : يعنى الفرزدق . ويقصد بالضيف هنا الزبير بن العوام غدر به قوم الفرزدق بعد وقعة الجمل .

(٢) ولا يكون : ولا أن يكون .

(٣) العصم : وعول فى أيديها بياض . عماية ويذبل : جبلان .

(٤) تأخر سرجه : عاقه الخوف عن شد حزام السرج . الشرك : ما ينصب لصيد الطائر . المنية : الموت .

المراجع

جرير : الديوان

أبو عبيدة : النقائض

الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٦

الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ١

السباعى بيومى : مهذب الكامل

أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى

المرزوقى : شرح ديوان الحماسة

ابن قتيبة : المعارف

ابن قتيبة : الشعر والشعراء

البغدادى : خزانة الأدب

الشيخ الخضرى : مهذب الأغانى

المبرد : الكامل

ابن رشيق : العمدة

مصطفى صادق الرافعى : تاريخ آداب العرب

جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية

البلاذرى : أنساب الأشراف

ابن سلام : طبقات فحول الشعراء

فهرس

الفصل الأول

عصر جرير

الفصل الثانى

جرير فى عصره

الفصل الثالث

جوانب جرير

الصفحة

الفصل الرابع

منتخبات من شعر جرير

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧٢/٢٣١٦

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧٢

مجموعة نوابغ الفكر العربى

مجموعة جامعة تقدم نوابغ الفكر العربى فى جميع العصور ، كما يصورهم ويترجمهم نوابغ الفكر العربى فى العصر الحاضر من كل قطر وبلد ؛ فهى تعنى بالشعراء والكتاب ، كما تعنى بالفلاسفة والحكماء ، وتتناول أعلام اللغة كما تتناول أعلام التاريخ. وقد رأت دار المعارف أن تعهد فى كل بحث من هذه البحوث إلى المختصين به وذوى الخبرة والدراية فيه، فيجولوا فيه ويتبعوه بباب واف للمختار من روائع المترجم له مفسر المعانى مبين الأغراض .

● ظهر منها :

١ – ابن رشد . ٢ – الجاحظ . ٣ – الشيخ نجيب الحداد . ٤ – محمود سامى البارودى . ٥ – ابن زيدون . ٦ – الشيخ ناصيف اليازجى . ٧ – إخوان الصفاء . ٨ – بشار بن برد . ٩ – بديع الزمان الهمذانى . ١٠ – أبو الفرج الأصبهانى . ١١ – ابن الرومى . ١٢ – الفرزدق . ١٣ – السهروردى . ١٤ – الشيخ إبراهيم اليازجى . ١٥ – المتنبى . ١٦ – البحترى . ١٧ – الخنساء . ١٨ – ابن قتيبة . ١٩ – جرير . ٢٠ – ابن المقفع . ٢١ – أبو حيان التوحيدى . ٢٢ – ابن سينا . ٢٣ – عبد الرحمن الكواكبى . ٢٤ – رفاعة رافع الطهطاوى . ٢٥ – خليل مطران . ٢٦ – ولى الدين يكن . ٢٧ – صفى الدين الحلى . ٢٨ – البهاء زهير . ٢٩ – جمال الدين الأفغانى . ٣٠ – تقى الدين بن حجة الحموى . ٣١ – الفارابى . ٣٢ – ابن رشيق القيروانى . ٣٣ – القاضى الجرجانى . ٣٤ – حسان ابن ثابت . ٣٥ – قاسم أمين . ٣٦ – ضياء الدين بن الأثير . ٣٧ – يعقوب صروف . ٣٨ – المسعودى . ٣٩ – أمين الريحانى . ٤٠ – حسن العطار . ٤١ – الشريف الرضى .